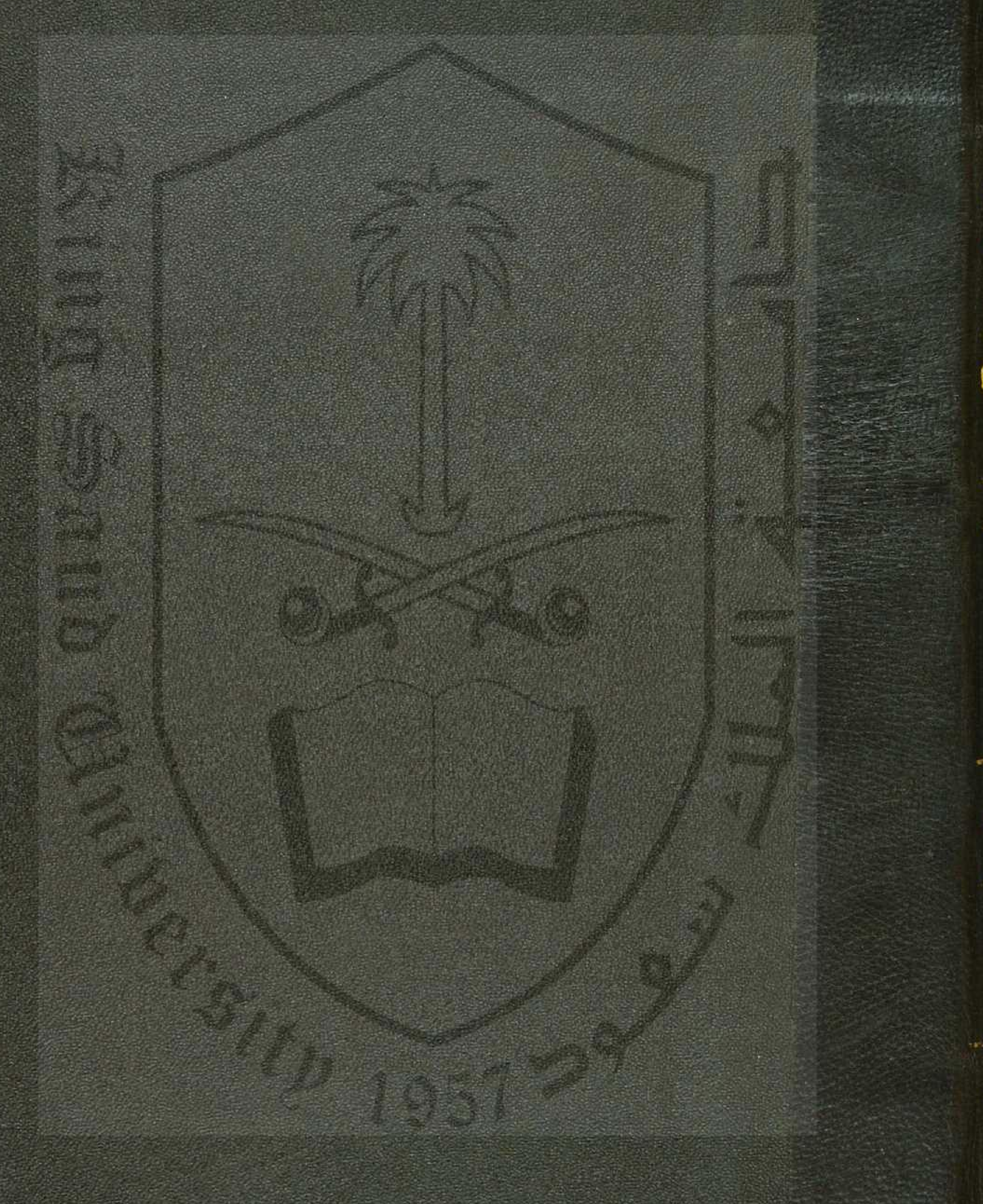

جامعة الملك سعود
King Saud University 1957



٨٨١
كتاب ارشاد
العقل السليم
ابو السعود
العمادي

٢١٢
١٠ س

ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم،
تأليف ابى السعود، محمد بن محمد - ٩٨٢هـ
كتب فى القرن الثالث عشر الهجرى تقديرا.
١٠٥ ق ٢٧ س ٢٥،٥ × ١٧،٥ سم
نسخه حسنه، خطها نسخ حسن، ناقصه
الاخر، طبع

٨٨١

الاعلام ٧ : ٢٨٨ - الازهريه ١ : ٢٠٢
١ - التفسير، القرآن الكريم وعلومه.
أ - المؤلف. ب. تاريخ النسخ. ج. تفسير
ابوالسعود.

١٠٤

للإمام أبي السعود

كتاب ارشاد العقل السليم
الى مزايا الكتاب الكريم
وهو من النفا
يس
المعتبرة

في أبي السعود

٨٨١

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق • وبين له من شعائر الشرايع كل ما جل ودق •
انزل عليه اظهر بينات وابهر حجج • قرانا عربيا غير ذي عوج • مصدقا لما بين يديه من الكتاب •
ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب • ناطقا بكل امر رشيد • هاديا الى صراط العزيز الحميد • امرا
بعبادة الصمد المعبود • كتابا متشابها مثانى تقشعر منه الجلود • تكاد الرواسي لهيبته تمور • ويذوب منه
الحديد • ويميع صم الصخور • حقيقا بان تسير به الجبال • وتسير به كل صعب محال • معجزا افحم كل مصقع
من مهرة قحطان • وبكت كل مفلق من سحرة البيان • بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته
ومباراته • لعجزوا عن الاتيان بمثل اية من اياته • نزله عليه على فترة من الرسل • ليرشد الامة الى اقوم
السبل • فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين • فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين • فمن اتبع هداه
فقد فاز بمناه • واما من عانده وعصاه واتخذ الهه هواه • فقد غار في مهامه الردى وتردى
في مهاوي الزلل • ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور • صلى الله عليه وعلى اله الاخيار • وصحبه الابرار
ما تناوبت الانواء • وتعاقبت الظلم والاضواء • وعلى من تبعهم باحسان • مدى الدهور والازمان

وبعد فيقول العبد المفتقر الى رحمة ربه الهادي • ابو السعود بن محمد العمادي • ان الغاية
القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف منها مسطورا • والحكمة الكبرى في تخمير طينة
ادم • ولم يكن شيئا مذكورا • ليست الا معرفة الصانع المجيد • وعبادة البارئ المبدئ المعيد
• ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل • سوى الوقوف على مواقف التنزيل • فانه علم سلطان
برهانه • وان سطر ايات قدرته في صحائف الاكوان • ونصب رايات وحدته في صفايح
الاعراض والاعيان • وجعل كل ذرة من ذرات العالم • وكل قطرة من قطرات العيلم • وكل نقطة
جرى عليها قلم الابداع • وكل حرف رقم في لوح الاختراع • مراة لمشاهدة جماله • ومطالعة صفات
كماله • حجة نيرة واضحة المكنون • واية بينة لقوم يعقلون • برهانا جليا لا ريب فيه • ومنهاجا
سويا لا يضل من ينتحيه • بل ناطقا يتلو ايات ربه فهم من سامع واع • ومجيبا صادقا
لمن دعاه من داع • يكلم الناس على قدر عقولهم • ويرد جوابهم بحسب مقولهم • يحاور تارة باوضح
عبارة • ويلوح اخرى بالطف اشارة • لكن الاستدلال بتلك الايات والدلائل • والاستشهاد
بتلك الامارات والمخايل • والتنبه لتلك الاشارات السرية • والتفطن لمعاني تلك العبارات
العبقرية • وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر • وكنوز اثار التعاجيب والعبر
مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى والقدر • فاذن مدار المراد • ليس الا كلام

رب العباد • اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية • والمفسر لمشكلات الايات التكوينية
والكاشف عن خفايا خطائر القدس • والمطلع على خبايا اسرار الانس • وبه تكتسب الملكات
الفاخرة • وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والاخرة • خلا انه بعيد من علو الشان • وسمو
المكان • بناية الغور والاعضال • وصعوبة الماخذ وعزة المنال • في غايات القاصية • ونهاية
نهايات النائية • اعز من بيض الانوق • وابعد من مناط العيوق • لا يتسنى العروج الى
معارجه الرفيعة • ولا يتأتى الرقي الى مدارجه المنيعة • كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقائق
العلوم النظرية والعملية • ومنطويا على رقائق السنن الخفية والجلية • حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية
ومحيطا بمناط الكلي الاصلية والفرعية • مفصحا عن اسرار الحقائق والنعوت • مخبرا باطوار الملك
والملكوت • عليه يدور فلك الاوامر والنواهي • واليه يستند معرفة الاشياء كما هي • قد نسج على
اغرب منوال وابدع طراز • واحتجب طلعته بسبحات الاعجاز • طويت حقائقه الابية على العقول
وزويت دقائقه الخفية عن اذهان الفحول • برق عيون العقول سبحانه • ويخطف ابصار
البصائر بريقه ولمعانه • ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته • اساطين ائمة التفسير
في كل عصر من الاعصار • وتوفى لتيسير عويصات معضلاته • سلاطين اسرة التقرير
والتحرير • في كل قطر من الاقطار • فغاصوا لجج لججه • وخاضوا في بحره • فنظموا فرائده في سلك
التحرير • وابرزوا فوائده في معرض التقرير • وصنفوا كتبا جليلة الاقدار • والفوا زبرا جميلة
الاثار • ما المتقدمون من المحققين • فاقتصروا على تمهيد المعاني • وتشييد المباني • وترتيب الاحكام
حسبما بلغهم من سيد الانام • عليه شرائف التحية والسلام • واما المتاخرون من المدققين
فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة • وابداء خباياه الفائقة • ليعاين الناس دلائل اعجازه • و
يشاهدوا شواهد فضله وامتيازه • عن سائر الكتب الكريمة الربانية • والزبر العظيم السبحانية
فدونوا اسفارا بادعة • جامعة لفنون المحاسن الرابعة • يتضمن كل منها فوائد شريفة • تقر بها
عيون الاعيان • وعوائد لطيفة • يتشنف بها اذان الاذهان • لا سيما الكشاف وانوار التنزيل
المتحدان بالشان الجليل • والنعت الجميل • فان كلا منهما قد احرز قصب السبق اي احراز
كانه مراة لاجتلاء وجه الاعجاز • صحايفها مراة بالمزايا الحسان • وسطورها عقود الجمان
وقلائد العقيان • ولقد كان في سوابق الايام • وسوالف الدهور والاعوام • اوان اشتغالي
بمطالعتهما وممارستهما • وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما • يدور في خلدي على



الاستمرار • اناء الليل واطراف النهار • ان انظم درر فوائد جمان سمط دقيق • وارتب
غرر فرائدها على ترتيب انيق • واضيف اليهما ما التقيته في تضاعيف الكتب الفاخرة • من جواهر
حدائق الحقائق • وصادفته في اصداف العيالم الزاخرة • من زواهر الدقائق • واسلك
خلالهما بطريق الترصيع • على نسق انيق واسلوب بديع • حسبما يقتضيه حلاوة شان
التنزيل • ويستدعيه جزالة نظمه الجليل • ما سنح للفكر العليل • بالعناية الربانية • وسمح به
النظر الكليل • بالهداية السبحانية • من عوارف معارف • تمتد اليها اعناق الهمم • من
كل ماهر لبيب • وغرائب رغائب ترنو اليها احداق الامم • من كل نحرير اريب • وتحقيقات
رضية • تقيل عثرات الافهام • في مداحض الاقدام • وتدقيقات متينة • تزيل خطرات
الاوهام • من خواطر الانام • في معارك افكار • يشتبه فيها الشئون • ومدارك انظار
يختلط فيها الظنون • وابرز من وراء استار الكمون • من دقايق السر المخزون • في خزائن
الكتاب المكنون • ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون • من خبايا الرموز • وخبايا
الكنوز • واهديها الى الخزانة العامرة • الغامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى
بخلافة الارض • واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض • الا وهو السلطان الاعظم الاسعد
والخاقان الامجد الافخم • مالك الامامة العظمى • والسلطنة الباهرة • وارث الخلافة
الكبرى • كابرا عن كابر • رافع رايات الدين الازهر • موضح آيات الشرع الاكبر • نور
مرغم انوف الفراعنة والجبابرة • معفر جباه القياصرة والاكاسرة • فاتح بلاد المشارق
والمغارب • بنصر الله العزيز وجنده الغالب • الهمام الذي شرق عزمه المنير فاستولى
الى المشرق الاقصى • وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او ادنى • بخميس عرمرم متزاحم
الافواج • وعسكر كخضم متلاطم الامواج • فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب • وما
بين نقطتي الشمال والجنوب • منتظما في سلك ولايته الواسعة • ومندرجا تحت ظلال
رأفته الرابعة • فاصبحت منابر الربع المسكون • مشرفة بتذكار اسمه الميمون • فبالله من ملك
استوعب ملكه البر البسيط • واستغرق فلكه وجه البحر المحيط • فكانه فضاء ضربت فيه
خيامه • ونصبت عليه الويته واعلامه • مالك ممالك العالم • ظل الله الظليل على كافة
الامم • قاصم القياصرة وقاهر القروم • سلطان العرب والعجم والروم • سلطان المشرقين
وخاقان الخافقين • الامام المقتدر بالقدرة الربانية • والخليفة المعتز بالعزة السبحانية •

المكفي بخدمة الحرمين • الجليلين المعظمين وحماية المقامين الجميلين المحترمين • ناشر
القوانين السلطانية • فاشر الخواقين العثمانية • السلطان ابن السلطان السلطان
سليمان خان • ابن السلطان المظفر المنصور • والخاقان الموقر المشهور • صاحب
المغازي المشهورة • في اقطار الامصار • والفتوحات المذكورة • في صحائف الاشعار
السلطان سليم خان • ابن السلطان السعيد • والخاقان المجيد • السلطان بايزيد
خان • لازالت سلسلة سلطنته مسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان • وارواح اسلافه
العظام • متنزهة في روضة الرضوان • وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام • لقصور
شاني وعزة المرام • ابن الحضيض من الذرى • شتان بين الثريا والثرى • وهيهات
اصطياد العنقا بالاشباك • واقتناء الجوزاء من بروج الافلاك • فمضت عليه الدهور
والسنون • وتغيرت الاطوار وتبدلت الشئون • فابتليت بتدبير مصالح العباد
برهة في قضاء البلاد • واخرى في قضاء العساكر والاجناد • فحال بيني وبينما كنت
اخال • تراكم المهمات وتزاحم الاشغال • وهجوم العوارض والعلايق • وهجوم
الصوارف والعوائق • والتردد الى المدارس والاسفار • والتنقل من دار الى دار
وكنت في تضاعيف هاتيك الامور • اقدر في نفسي ان انتهز هذه من الدهور
ويتيسر لي القرار • ويطمئن بي الدار • واظفر حينئذ بوقت خال • اشتغل فيه الى جناب
ذي العظمة والجلال • واوجه اليه وجهتي • واسلم له سري وعلانيتي • و
وانظر الى كل شيء بعين الشهود • واتعرف سر الحق في كل موجود • فتلافيا ما فاتني
واستعداد الماهوات • واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه • واتولى لتكميل ما
توجهت اليه • بفراغة واطمئنان • وحضور قلب وفراغ جنان • فبينما انا في هذا
الخيال • اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال • تحولت الاحوال • والدهر حول • فوقعت اشق
من الاول • امرت بحل مشكلات الانام • فيما شجر بينهم من النزاع والخصام • فلقيت
مفصله طويلة الذيول • وصرت كالهارب من المطر الى السيول • فبلغ السيل الزبى و
غرق الى غمر • غوارب ما جرى بين زيد وعمرو • فاصبحت في ضيق المجال • وسعة الاشغال
اشهر ممن يضرب بها الامثال • فجعلت اتمثل بقول من قال • لقد كنت اشكو للحوادث
برهة واستمرض الايام وهي صحيح • الى ان تغشتني وقيت حوادث • تحقق ان السالفات
منايح • فلما انصرمت عرى الآمال • عن الفوز بفراغ البال • ورأيت ان الدهر على
جناح الفوات • وشمر للاسباب في شرف الشتات • وقد مسني الكبر وتضالت

الفضاء والقدر • وردنا الاجل من الحلول • واشرفت شمس الحيوة على الافول عزمت على انشاء ما كنت
انويه • وتوجهت الى املاء ما ظللت ابتغيه • ناويا ان اسميه عند تمامه • بتوفيق الله تعالى
وانعامه • ارشاد العقل السليم • الى مزايا الكتاب الكريم • فشرعت فيه مع تفاقم المكاره علي •
وتزاحم المشاده بين يدي • متضرعا الى رب العظمة والجبروت • خلاق عالم الملك والملكوت •
في ان يعصمني عن الزيغ والزلل • ويقيني مصارع السوء في القول والعمل • ويوفقني لتحصيل ما ارومه
وارجوه • ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه • ويجعله ذخيرة يوم المعاد • ثم تمتع به يوم الميعاد •
وها انا توجهت بوجوه الذل والابتهال تجاه بابه المنيع • ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه
الرفيع • اللهم افض علينا سوابق انوار التوفيق • واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق • وثبت اقدامنا على
مناهج هداك • وانطقنا بما فيه امرك ورضاك • ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا ان • وخذ بنواصينا
الى الخير حيث كان • تجشنا على حياة الاستكانة ضارعين • ولابواب فضلك قارعين • انت الملاذ
في كل امر مبهم • وانت المعاذ في كل خطب ملم • لا رب غيرك • ولا خير الا خيرك • بيدك مقاليد
الامور • لك الخلق والامر واليك النشور • الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتتح كالكتاب
والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدريج بوجه من
الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية
الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس
الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى
يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ اخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة
عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته
لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ اخر الشيء يعرض للاخر اولا وبالذات وللكل بواسطته
على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على
على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك
بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم
في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار
انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى
من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدأ

للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس
المراد من الكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرا في الصلوة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له واما الاخيران
فلان اعتبار المبدائية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء
الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على سنن الترتيب المعهود
وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا
والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية
التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على مدارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو
المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والايات
الواضحة الدالة على معانيها لكونها ابينة يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما
اورده البخاري في صحيحه من انه يبدأ بقراءتها في الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما نبه عليه وتسمى
سورة الكنز لقوله عليه السلام انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه
في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها
عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هي شفاء
من كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات تثنى في الصلوة او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة
بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك
سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم اختلف الائمة في شان التسمية في اوائل
السورة الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ومذهب
مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراءة المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها
وقيل انها اية فذة من القرآن نزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي
اية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى عمر ايضا رضي الله تعالى عنهم
وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انها
انزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه
قراءة مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة
بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه احد وقيل انها من الفاتحة مع
كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولكونها اية تامة في الفاتحة
وبعضها في البواقي اولا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس
وابي هريرة رضي الله عنهم وقيل انها اية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل انها بعض اية في الكل

وقيل انها ايات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءاً منها وهذا القول
غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول اخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها اية تامة
في الفاتحة وليست بقرآن في سوائر السور ولولا اعتبار كونها اية تامة لكان ذلك احد محلي تردد
الشافعي رحمه الله تعالى فانه قد نقل عنه انها بعض اية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل
بين ان يكون قرآنا اولا وقيل بين ان يكون اية تامة اولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي
هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل رحمه الله في كونها اية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان
ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور
من هذه الاقاويل هي الثلثة الاول ولا نفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام
الله عز وجل يقضي بنفي القول الاول وبثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على
خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا
يستدعي كونها اية منفردة منه واما ما روي عن ابن عباس رحمه الله من ان من تركها فقد ترك
مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى وما روي عن ابي هريرة من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاتحة
الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة رضي الله عنها من انه
عليه السلام قرأ سورة الفاتحة وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية وان
دل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس بشيء منها ايضا في اثبات القول الثالث اما الاول
فلانه لا يدل الا على كونها ايات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب
من كونها اية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجأ الى ان يقال ان كونها ايات متعددة بعدد السور
المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض بحالها
في بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته الثاني في السكوت المذكور والباء فيها
متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما هو كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال
وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرأ
او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير ابدأ لاقتضائه
اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث
الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار
الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه ابدأ او لم نبدأ
فيه ابدا وهذا الى اخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك
باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم

المسئلة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت
لام الامر ولام الاضافة داخلة على المضمر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين
من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون قد ادخلت عليها عند الابتداء همزة لان
من دأبهم الابتداء بالتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي وسميت وسمى
كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمي مباركا اثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه
من السمو لانه رفعة للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوض
عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد عليه بان الهمزة لم يعهد على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته
سِم وسُم قال بسم الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق
ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه
اي اضافة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنتهية
الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب
المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كان
كل من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند
الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فليحمل الباء على التبرك
وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم
وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء
على الاستعانة الثانية او التبرك واغا لم تكتب الالف لكثرة الاستعمال فالزاء وطولت الباء عوضا
عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض
الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان
المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض
وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك
عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس
يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقيقة والبطلان لا مع اعتبار
احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق والله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود
الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما
نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها
بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم

ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها
بمعنى معين او قيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن
معنى معين فاذ نبه على ان ملاحظة الامر تلك الخصوصية فباي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة
عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كما في اسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة
والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة وكذلك
لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في شانه العقول والافهام واما
اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تأله واستأله كاستنوق
واستحجر من الناقة والحجر من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون
الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى
يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب
واطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد
في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره
اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس
في الاصل وقيل هو وصف في الاصل لكنه غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده
امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد
المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية
وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه
لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله الا لا بارك الله
في سهيل • اذا ما الله بارك في الرجال • والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما
بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة
مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم
لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب
بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي
افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى
وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى
حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة
قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل اذ كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود

وجود فعلى فيها اعلم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمتنع من الصرف وفيه من
المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس
تأخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه
باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلائل
النعم وعظائمها احق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفي ايراد الوصفين المذكورين بعد ذكره تعالى تحريك سلسلة الرحمة
الحمد لله الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان او مبدءا له على وجه يشعر بتوجيهه الى المنعوت وبهذه
الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها ايضا يستدعي الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق
بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها
واما الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت
له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها منبئ عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو
الحدث الصادر من فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو
محل وقوعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما تقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها
المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يقتضي ان يلابسه
ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء
تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخرين فنظم القسم الاول من التعلق
في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي في مراعاة القوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من قبيل
التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته
بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية
او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بالاول
على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه نحو واحد قد تعلق بالاول على الكيفية
الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلث وتباينها واختصاص كل
من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح
الا عند الترجمة والتفسير وان تمهد ذلك فالاختلاف ليس الا لاختلاف الفعل لا لاختلاف المفعول
واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما في المعنى
قطعا هذا وقد قيل ان المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة
قده واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى
كالنصر والتأييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول

وأعنا مرادف النصر الاعانة ومرادف التأييد التقوية فتدبر ثم ان ماذكر من التفسير هو المشهور من
معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام التعظيم واما ماذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله
تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولهم هذا الامر عاقبته حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا
يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا او استتباعا بحمل الحمد
على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها • واما الشكر فمقابلة النعمة بالثناء وآداب
الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال • كما قال من قال • افادتكم النعماء مني ثلثة • يدي
ولساني والضمير المحجبا • فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد
من شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها لخفاء عمل القلب من الخفاء وفي
اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاك الامر في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد رأس الشكر
ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة
بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله
تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون
فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث
يقتضيه انتظام الكلام • ويتساق اليه الاذهان والافهام • ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى
على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال احد ان يسأل عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق
للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم والاعتذار بان المعنى
نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل للتوفيق المنزل المقدر وبعد اللتيا والتي ان
فرض السؤال من جهته عز وجل فات نكتة الالتفات الذي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة
الغير يخل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا لسؤال
يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه
فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز
وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وهو الحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر
عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان
يتوسط هناك شيء آخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان
بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة
النصب وهو السر في كون تحية الخليل عليه السلام للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا
سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع واللام

تخصيص

تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على
ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد الواقعة عما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى
بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في مقام الخطابي منزلة العدم كما وكيفا وقد قيل الاستغراق
الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام • وقرئ
الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام • وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة
استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل رب العالمين بالجر على انه صفة
لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا
على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد
لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى
التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من
ربه يربه مثل نم ينم بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه
ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع
الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل
سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله سبحانه جاز في اطلاقه الاطلاق
والتقييد كما في قوله تعالى ءارباب متفرقون خير ام الله والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع
تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها
في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما
في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما عداهم بطريق
الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير
من الجواهر والاعراض كما يعلم بما فيه عالم لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق
افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد
على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على
آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق آحاد مفرده وان
لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى
به وان لم يطلق عليها كانها آحاد مفرده المقدر وقد قيل من قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع
فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد من آحاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الاجناس التي لا تكاد
تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون

مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام الدالة على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء
على غيرهم واعلم ان اطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار التغليب والاصطلاح
واما باعتبار الوصف فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حقا فانه كما يستدل على الله سبحانه
بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك
الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان • وحضر
في ذهن الحاضر كائنا ما كان • دليل لائح عن الصانع المجيد • وسبيل واضح الى عالم التوحيد • واما شمول تربيته
عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات
والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع
اثار التربية عنه انا واحدا لما استقر له القرار • ولا اطمأنت به الدار • الا في مطمورة العدم ومهاوي
البوار • لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس • تعالى شانه وتقدس • في كل زمان يمضي • وكل آن يمر وينقضي •
من فنون الفيوض المتعلقة بذاته • ووجوده وصفاته وكمالاته • ما لا يحيط به فلك التعبير • ولا
يعلمه الا العليم الخبير • ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه
بقاء وانما ذلك من جناب المبدا الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يسد عليه جميع
انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعلته ما لم يسد عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لما
ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي فظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي
هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي
لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون للشيء الواحد
موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في انفسها
فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربيته لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فاثار
تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد الموجودات في كل ان من انات الوجود غير متناهية
فسبحانه سبحانه • ما اعظم سلطانه • لا تلاحظه العيون بانظارها • ولا تطالعه العقول
بافكارها • شانه لا يضاهي • واحسانه لا يتناهى • ونحن في معرفته حائرون • وفي اقامة مراسم
شكره قاصرون • نسئلك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك • والتوفيق لاداء حقوق نعمائك • لا
نحصي ثناء عليك • لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك الرحمن الرحيم صفتان لله فان اريد
بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من
النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في
قوله ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في

عقبهما

عقبهما لا بد ان بانه تعالى متفضل فيهما فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه بانهما
واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين
باسمه الجليل والاوفق لمقاصده مالك يوم الدين صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول مما
لا حاجة الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان
القاهر والاستيلاء الباهر • والغلبة التامة • والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة • بالامر
والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ
ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالكا بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر
مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها
من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب والمراد هنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا او شرا
ومنه المثل في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان • دناهم كما
دانوا • واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية
للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة
وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعل الاظهر انه من قبيل المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها
بمفعولاتها نحو عاتبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل بمنزلة قيام
السبب وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدر عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على
المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها
من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب
لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم
اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على
حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وتحلو اضافته عن
افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند
ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة
المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة
الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار
كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث
المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك تقول في مالك عبده انه
مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما للتعظيم

وتمويله أو كسائر نعمه تعالى بإجرائه الأمر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والأملاك ح
بالكلية وإجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعالى تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به
تعالى المستلزم لاختصاص استحقاق العبادة به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه تعالى فإن
كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتهما لما سواه أما الأولى والرابعة
فظاهر لأنهما منبئتان صراحة عن كونه تعالى موجدا للعالمين وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى وأما الثانية والثالثة
فلأن اتصافه تعالى بهما ليس إلا بالنسبة إلى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي أن يكون الكل منعما
عليهم فظهر أن كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الأمور المذكورة له تعالى دلت
على امتناع ثبوتها لما عداه على الإطلاق وهو المعنى بالاختصاص **إياك نعبد وإياك نستعين** التفات
من الغيبة إلى الخطاب وتلوين للنظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام
ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في استجلاب
النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين
كما في قوله عز وجل الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد الآية وقوله تعالى حتى إذا كنتم في
الفلك وجرين بهم إلى غير ذلك من الالتفات الواردة في التنزيل لأسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها
ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكتة الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى
لما جرى عليه من النعوت الجليلة التي أوجبت له تعالى أكمل تميز وأتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة
بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والإيذان بأن حق التالي بعد ما تأمل فيما سلف من
تفرده تعالى بذاته الأقدس الموجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده
بجلائل الصفات وأحكام الربوبية المميزة له عن جميع أفراد العالمين وافتقار الكل إليه في الذات والوجود
ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مر آنفا أن يترقى من رتبة البرهان إلى طبقة العيان وينتقل من
عالم الغيبة إلى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا في محاضر الأنس كأنه
واقف لدى مولاه وهو يدعو بالخضوع والإخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا
من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فإن كل ما سواك كائنا ما كان
بمعزل عن استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق أن يعبد ويستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص
السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومنزلة للتبتل
إليه بالكلية وإيا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين
الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الإعراب كالتاء في أنت والكاف في أرأيتك وما ادعاه الخليل
من الإضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب فمما لا يعول عليه

وقيل هي الضمائر وإيا دعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ إياك بالتخفيف
وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة أقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق
معبد أي مذلل والعبودية أدنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى به والعبودية الرضى بما فعل الله و
الاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من الحصر والتخصيص
كما في قوله وإياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة
من العبادة والاستعانة ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما أنها من
مقتضيات مدلول الاسم الجليل وإن ساعده الصفات المجراة عليه أيضا وأما الاستعانة فمن
الأحكام المبنية على الصفات المذكورة ولأن العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق
المستعين ولأن العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه
وقيل لأن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول هذا على تقدير كون الإطلاق على
الاستعانة على المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل إنه لما أن المسؤول هو
المعونة في العبادة والتوفيق لإقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب
لحال الحامد فإن استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من أفعاله ليستعين به تعالى في إيقاعه
ومن البين أنه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله بأداء ما يوجبه تلك
الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من أقواله وأفعاله إلا الإقبال الكلي عليه والتوجه
التام إليه ولقد فصل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى أولا وباستدعاء الهداية إلى ما يوصل
إليه آخرا فكيف يتصور أن يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من أمور دنياه أو ما يتبعها أو غيرها
كأنه قيل وإياك نستعين في ذلك فإنا غير قادرين على أداء حقوقه من غير إعانة منك فوجه
الترتيب ح واضح وفيه من الإشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها عندنا لعابد أشرف
المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من أعمال العبد ومن الملاءمة لما يعقبه من الدعاء
ما لا يخفى وقيل الواو للحال أي إياك نعبد مستعينين بك وإيثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين
للإيذان بقصور نفسه وأن ذلك مما لا يتصور من عبادة هو من جملتهم وجعله هو من
زمرتهم كما هو دين الملوك أو للإشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة
له بناء على تعاضد الأدلة الملجئة إلى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم **اهدنا الصراط
المستقيم** إفراد لمعظم أفراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الأهم أو بيان لها كأنه قيل كيف
أعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية ولذلك اختص بالخير

وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على طريق التهكم والاصل تعديته باللام او بالى كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية • ومنها آفاقية • فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسالك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وعلا ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون • ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها • وطالب يستدعيها • والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة المشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد فاز بجملتها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله عز وعلا فاولئك مع الذين

انعم

انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع الملائكة المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسب بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم ولا الضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدليته مما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى الكل لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شأن البدل ان يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعريف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او

على المدح او على الاستهزاء ان قسم النعم عا بعم الفريقين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام
وعند اسناده الى الله تعالى سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق السبب بالنسبة الى المسبب
القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل
الكلام على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة عن سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم
لما اصابهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم عليه
مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج
الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني
فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر
اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيد لتاكيدها افاده غير من معنى النفي كأنه قيل لا
المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع
انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وبالهمزة على
لغة من جد في الهرب على التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء
الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا * وقال امين فزاد الله
ما بيننا بعدا * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقنني جبريل امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب
وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور
عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ان المصلي يأتي بها مخافتة وعنه انه لا يأتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن
رحمه الله تعالى مثله وروى الاخفا عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعند
الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال
امين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فاتحة الكتاب انها
السبع المثاني والقرآن العظيم اوتيته وعن حذيفة اليمان ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله
رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع الله عنهم بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة
مدنية مائتان وثمانون ايات بسم الله الرحمن الرحيم الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف
المعجم التي من جملتها المقطعات المروية في فواتح السور الكريمة اسماؤها لاندراجها تحت
حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من
خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التعبير

بحيثها

بحيثها يحمل على المسامحة واما ما روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف
ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن
الالف حرف واللام والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا
فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما
الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا
تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين
بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في
المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس هذا من تسمية
الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما
هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في نحو ذلك
السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق فيه الحمل الا على ذات الموضوع لا اسمائها الملفوظة
كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلثة احرف وكان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه
البسيطة موافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلثة المكتوبة وموافقة
لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والفاتها الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد
مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه
ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد
معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير
عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا ترى ما في
الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما
مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل مسمى لكونه
من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعير
مكانها الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبني الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز
على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك ضاد وقاف مجموعا فيهما بين
الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما اخره
الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لفظ لا تقصر تارة فتكون وتمد اخرى فتكون
اسما لها كما في قول حسان رضي الله تعالى عنه ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد لم تسمع له

لا غير هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة
والاسرار المحجوبة • روي عن الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل
السور وعن علي رضي الله تعالى عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف
التهجي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها
فقال سر الله فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى
او صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه
قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد
اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث
انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة • وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر
وقيل وقيل ولكن الذي عليه التعويل • انها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب
الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ
فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله القرطبي والكلبي والسدي وقتادة
من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما
واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى
يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور في عكسه حسبما تحققته وانما
كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على
نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف
مما لا يناقش فيه لمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا
انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه
كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر • نازل من عند خلاق القوى والقدر • لما تضاءلت قوتهم
وهم فرسان حلبة الحوار • وامراء الكلام في نادي الفخار • دون الاتيان بما يدانيه • فضلا عن المسارعة بما
يساويه • مع تظاهرهم في المضادة والمضارة • وتهالكهم على المعازة والمعارة • او ليكون مطلع ما يتلى
عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف
في تضاعيف الكلام • وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام • من الاعراب والاعجام • لكن
التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق • وابعد من مناط
العيوق • لا سيما اذا كان على نمط عجيب • واسلوب غريب • منبئ عن سر سري • مبني على نهج عبقري
بحيث يحار في فهمه ارباب العقول • ويعجز عن ادراكه الباب الفحول • كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في

تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف انواعها
تحقيقا او تقريبا لا يتضح عند التفحص والسبر حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير • فسبحان من
دقت حكمته من ان يطالعها انظار النظار • وجلت قدرته عن ان ينالها ايدي الافكار • وايراد بعضها
فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور
دون ايرادها كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة • وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل
الى المطالبة بوجهه وعد بعضها اية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فاية حيث ما وقعت
وقيل في آل عمران ليست باية والمص اية والمر لم اية والر ليست باية في شيء من سورها الخمس وطسم
اية في سورتيها وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وكهيعص اية وحم عسق
ايتان وص وق ون لم تعد واحدة منها اية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح ايات
عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها اية ثم انها على تقدير كونها
مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء
للسور او للقرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير
فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام • ويستدعيه النظام
ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالجميع لكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما
كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئت بالنصب على اضمار
فعل اي اذكر او اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد
نحو حم وطس ويس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء
السور من كتابه وقد قرأ بعضهم يس والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر
ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة يس ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء
الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد
استكره الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو
الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف
ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية
مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طس
ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس
فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر الاحكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه
واما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف

والتقدير هذا اي مسمى به وانما صحت الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره
لانه باعتبار بعضه الذي ذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان وأما على
انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم
الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه
التردد في ان المسمى هو السورة او كل القرآن ذلك ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على
بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري و
ما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من الفضل
والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل
اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب
في تذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى
به لا من حيث هو مسمى بالسورة او على اعتبار الخبرية الثابتة في الاولى بناء على ان التسمية لتمييز السور
بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ
ثان وقوله عز وعلا الكتاب اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مبتدأ
مستأنفة مؤكدة لما افاده الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه
في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير العائد والكتاب اما مصدر سمي به
المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس ثم من الكتب التي
هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة
للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة
لما ان مآله الكتاب والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله
عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل واما باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار
نزوله الى السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الكتاب واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو
الكتاب اي العمدة القصوى منه كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال
لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل
القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان
يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من
الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما
يكون في الرجال • من مرضي الخصال • وعليه قول من قال • هم القوم كل القوم يا ام خالد • فالمدح

كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ
هنا لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا
بعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على
حياله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها
لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب في تقدير
كون الم خبر مبتدأ محذوف واما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى
تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا
التقديرين هو المسمى سواء كان هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى
ذلك الكتاب العظيم الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد
ظاهر لانه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما
قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير
كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف
او تقدير مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ تنزيل الكتاب وقوله تعالى لا ريب فيه اما
في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة واما على انه خبر ثان لالم او لذلك على
تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر آخرا على رأي من يجوز كون الخبر الثالث جملة كما في قوله تعالى فاذا
هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة
مستأنفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة
عمل ان بحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا
مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه
وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها
محذوف اي لا ريب موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها
ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب
الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب
فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب
في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى
الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما
لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان • وسطوع البرهان • بحيث ليس فيه مظنة

يرتاب في حقيقة كونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك
في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الخ فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب في ما نزلنا الخ الا انه خولف في
الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع
اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهة العالية ولم يقصد هيهنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار
بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر
من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي
الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى وفي قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في
مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى
المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه
الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا
وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا
في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بل كل منهما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما
وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان
الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من
الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة التقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو
كاف في تحصيل مفهوم الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول
بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم
الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان
لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك
فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه
دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا انما يتحصل به
من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في ان من انات تلك الازمنة لقارنه
في ذلك الان مقابله الذي هو الوصول فما فرض ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة
الترتب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه
عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة
المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول

في مفهوم

في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجوب اللازم فيه
وجوبا وهو الامر الثاني ففيما انه مبني على تمهيد اصل فهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم
من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بل من تعلقه بمفعوله غير ذلك في مدلوله اسمه قطعا ثم لما كان
له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك اثار شتى منه يترتب عليه متمايزة
في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسما خاصة وعرض له بالقياس الى اثر من تلك الاثار
اضافة خاصة متمايزة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الاثار تابعة له في
التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له
بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار
ذلك الجسم الذي هو اثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي
هو اثر اخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى اثاره اللازمة له وهذا
امر مطرد في اثاره الطبيعية واما الاثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها فيترتب عليه تارة
وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالاثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها
بواسطة كونه داعيا اليه فحيث كانت تلك الاثار مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم
الاثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة
العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة العارضة المدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال
والاجابة وان عدا من اثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين
للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم تعتبر الاضافة
العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسمهما بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور و
المدعو سواء وجد الامتثال والاجابة او لا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الاجابة والامتثال فعلان
مستقلان في انفسهما صادران عن المدعو والمامور باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم
الاثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي
اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه
اليه لزوم ما ذكر من الاثار الطبيعية وان مرتبا عليها في الجملة فلما لم يعد من متممات الامر والدعوة ولم
تعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبها داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد بهدى اللازم من متممات
الهداية ولم تعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها اذ قيل ليس الهدى بالنسبة الى
الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا
يقتضي الا اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاول اصلا بخلاف الهدى

بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدى يقتضى اتصافه بها لان تعلق الفعل المتعدى المبنى للفاعل
بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره المأخوذ من المبنى للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر
الفعل اللازم وهو هو لاعتبار وجود اللازم فى وجود المتعدى حتما قلنا كما ان تعلق الامر
والدعوة بالمأمور والمدعو لا يستدعى الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة
ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التى هى عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدى لا يستدعى
الا اتصافه بالمدلولية التى هى عبارة عن المصدر المأخوذ من المبنى للمفعول غير تعرض لقبوله
لتلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق
الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يؤخذ فى مدلولها استلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدى
المبنى للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو فى الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار
والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل
التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر فى مدلول قطعا فليكن الهداية كذلك قلنا ليس التعلم لكونه
فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس بمستقل
فى ذلك فى اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما معتبر فى تحققه وتحصله الى الاخر فان التعليم
عبارة عن القاء المبادى العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على علم بقصد الحال
بحيث لا ايساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض اخر وكل منهما متمم للاخر معتبر فى مدلوله
واما الهدى الذى هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختيارى يستقل به فاعله اذ لا دخل
للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماته ولا معتبرا فى مدلولها
ان قيل التعلم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتدا
فيكون اعتباره فى مدلول التعليم اعتبار الهدى فى مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم
انما هو عند وضوح المسالك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه
داعيا اليه وقد عرفت حقيقة الامر على ذلك التقدير ان قيل اليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم
عن التعليم بحيث لم يكن ذلك تعليما فى الحقيقة فلتكن الهداية ايضا كذلك ويحمل تسميته ما لا
يستتبع الهدى بها على التجوز قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور
فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الهدى عن الهداية فليس
لشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدى بعد تكامل ما هو
من قبل الهادى وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من
شانه الايصال الخالية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان يشترط فى مدلولها الوصول

ولا القبول

ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما اولاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قبل
المقارنة وعدمها افراد حقيقة لها وان ما فى قوله تعالى لا تهدى من احببت وقوله تعالى ولو شاء
لهديكم اجمعين ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز من قبيل وانكشف ان الدلالات
التكوينية المنصوبة فى الانفس والافاق والبيانات الشرعية الواردة فى الكتب السماوية على
الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هداية حقيقة فايضة من عند الله تعالى
سبحانه والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله للمتقين المتصفين بالتقوى
حالا او مالا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون باثاره وان كان ذلك
شاملا لكل ناظر من مؤمن ولو كافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقى اسم فاعل من باب
الافتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة والتقوى فى عرف الشرع عبارة عن كمال التوقى عما يضر
فى الاخرة قال عليه السلام جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وعن
عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقى من يترك
ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس وعن ابن زيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة
وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقى من تبرأ عن حوله وقوته
وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل
تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابى تراب
بين يدى التقوى خمس عقبات لا يناله من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على
القوة وايثار الذلة على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحيوة وعن بعض الحكماء
انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما فى قلبه فى طبق فطيف به فى السوق
لم يستحيى ممن ينظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق
ان التقوى ثلث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم
كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو
المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لكفرنا عنهم
سيئاتهم والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو
التقوى الحقيقى المأمور به فى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة
عرض عريض تتفاوت فيه طبقات اصحابها بحسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة
عليهم بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم الابية واقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم
الصلوة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستى النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم

الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق
في شئون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب
المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل
المرتبة الاولى وما يليها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على
العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانهم وان
اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى
تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى الطبقتين من الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما
يتحقق بهداية المترقبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فانه اريد بالهدى الارشاد الى
تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عني بهم
اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه
هدى تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل
فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع
صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب
فيه لذلك الكتاب او لمبتدأ خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك
او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى
الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي وحاصله انتفى الريب
فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او يجعل
المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجمل ان
يكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على
انها خبر لمبتدأ مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من
جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دل عليه
من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا فضل اعلى مما للحق
واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة
شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل
للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن
معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة
عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل

منها من الكتب الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شانه حسبما تحقق الذين يؤمنون بالغيب
اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه
ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات
وترك السيئات معا لانها حينئذ يكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصول اجمالا وذلك لانها مشتملة
على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية
والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية غالبا الى التجنب عن المعاصي غالبا الا ترى
الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة
قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات
وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلثة بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم
التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني والرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنهم
مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سياتي بيانه فالوقف على المتقين وقف تام
لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على وجه الاول فحسن لاستقلال الموقوف
عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظ واما على تقدير النصب
او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة
حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا
حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات
ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات المدح وخولف في بعضها
الاعراب فقد خولف للافتنان او للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء الى
تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه
من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب ان قيل لا ريب في ان حال الموصول عند كونه
خبر المبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره اولئك على هدى في انه يستتبعه جملة
اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف و
الموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم الهدى والفلاح
من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف
غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدأ في الصورتين
وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما يتضمنه المبتدأ اجمالا حسبما تحققته
معلوم الثبوت له قبلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح جرى

ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد
اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا كما ان الوصف
اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا حتى قالوا ان الصفات قبل العلم
بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا
على ما لا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة
جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي
الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال امنته غيري ثم استعمل في التصديق
لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء
لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة ومنه
ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وكلا الوجهين
حسن هنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او
لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكنين منه والاول رأي الشيخ الاشعري ومن تابعه والثاني
مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل
السقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند
جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار
فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل
في الكفر عند المعتزلة وقرئ يؤمنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة
كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت
في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره وايا ما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل
غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل
عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب
عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الآخر
واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد هنا فالباء صلة للايمان اما
بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على
حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم
بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون متلبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي

غائبين

غائبين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايمانهم فقال رضي الله
تعالى عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم تلا هذه
الآية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون
بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير
الثلثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما
للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلوة**
اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ من
اقام العود اذا قومه وقيل عن المواظبة عليها مأخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا
جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من
غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لا
شتمالها على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو
الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو
مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين
وهما العظمان الناتئان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ
في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه
بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو
ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان
والمعتزلة لما احالوا تمكين الله من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا
الرزق لا يتناول الحرام الا انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال
الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله
تعالى بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا
جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص
ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه في حديث عمرو بن قرة
حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فأذن لي
في الغناء من غير فاحشة من انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة

كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان
ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا
وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان
في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير
فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام به و
المحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز
ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه
السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة
يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** معطوف على الموصول الاول
على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى
معا ومن حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين امنوا بعد الشرك
والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالاخيرين الذين امنوا
بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم
الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى
بالكلية لتلافيها من كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الاخرين
فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف
الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط
العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله يا لهف زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالآيب • للايذان
بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب
السماوية نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للاخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما
من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان اكمال العلم بالعمل وقرن الثاني
بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد
اهل الكتابين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها
بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصححه من العبادتين مع قطع النظر عن

المؤمن

المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرونا بما ترتبه
نصلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما
يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق
اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلتين وتباين السبيلين تلبيثا ما وان
يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب بان
يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكال بالذكر اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما
لشانهم وترغيبا لامثالهم • واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال من الاعلى الى الاسفل
وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من
الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا
روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام و
المراد بما انزل اليك هو القرآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه
مترقبا لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ
ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وسائر الكتب السابقة وعدم التعرض لذكر
ما انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه
به في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الاية والايمان با
لكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه
على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعيين الفاعل
والجري على سنن الكبرياء وقد قرئ على البناء للفاعل **وبالآخرة هم يوقنون** الايقان اتقان العلم
بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا
لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم
الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا اولا وهل هو دائم اولا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير
تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الاخرة بمعزل عن الصحة فضلا عن
الوصول الى مرتبة اليقين والاخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين
فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة
اجراء للضمة ما قبلها مجرى ضمتها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة



اذا ضاء الوجود وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم
بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله عز
وجل **على هدى** خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدى
هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم
بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف كيفما يريد وعلى استعارته لتمسكهم
بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه وعلى
جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال
رسوخهم فيه وقوله تعالى **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية
اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته
تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف
والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيقهما مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه
وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين بالمتقين مستقلة
لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا
وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته
لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما
ينشأ مما سبق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم
الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اصل
الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه
ولقد جار عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب اولئك الموصوفون غير مستبعدات
يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا واما على تقدير كونهما مفصولين عنه
فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة
استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين فيما بين
مبادي استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى
عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شئونهم
احقاء بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وبذلوا مهجهم في سبيل الله اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم

ان هذا

ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد
زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك
ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة
الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في
سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى على
المتقين حسبما فصل والثاني مبتدا واولئك الخ خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا
بغير المؤمنين من اهل الكتاب بحيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح **واولئك
هم المفلحون** تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك
الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده
توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة
للاولى واما الفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل
منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لا
ولئك وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او اشارة
الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم هذا في بيان اختصاص المتقين بنيل هذه
المراتب الفائقة على فنون الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الاية الكريمة
من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق
ان الذين كفروا كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة والمردة العتاة اثر بيان
احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمال وانما ترك العاطف
بينهما ولم يسلك به مسلك قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في
الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شان الكتاب في باب الهداية
والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول
موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم
فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم
في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم
ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل

صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة والجري على سنن الكلام على بيان ان الكتاب هادٍ
للاولين وغير مجدٍ للاخيرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في اثناء
تعداد كمالاته وان من الحروف التي تشابه الحروف والبناء على الفتح ولزومها الاسماء ودخول نون الوقاية فانه
عليها كانني ولعلني ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصته في الدخول على اسمين ولذلك
اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند
الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله لقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر
مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وانها
تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك
والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل
عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد
ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه
غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح
اي الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر قال الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد
في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي
الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار
ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكاد يجترئ
على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء
فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من
مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم
لا يستدعي حدوث العلم **سواء** هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر
مبالغة قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى **عليهم** متعلق به ومعناه عنده
وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى **ءانذرتهم ام لم تنذرهم** مرتفع به على الفاعلية لان
الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر
والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم
انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدأ وسواء عليهم خبر قدم
اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به

اللفظ

اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما
في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض وفي قولهم
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما
فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده
كما اشير اليه وقيل سواء مبتدأ وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار
وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه
افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على
المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب
واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا
يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الالف بين الهمزتين مع تخفيفهما وبتوسيطها
والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام و
بحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب
ذلك الى اللحن **لا يؤمنون** جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء
فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو علة
للحكم او خبر ثان على راي من يجوزه عند كونه جملة والاية الكريمة استدل به على جواز التكليف
بالمحال فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المحال
الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف
ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز
عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء
والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره
وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم
ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه السلام اجمالا والاعبارة عنهم ليس معلوما
لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم
فهي من المعجزات الباهرة **ختم الله على قلوبهم** استئناف تعليلي لما سبق من الحكم او بيان لما يقتضيه
او بيان وتاكيد والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب

الخاتم عليه صيانة او كنا فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملو والاول هو الانسب
بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي
وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها
الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب
المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما
من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل
بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المتنازعة من ان يصل
اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من
حال معد لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل
بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المنتزعة المشبه بها فيكون
كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر
في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مرادا قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب
وتلك الاضافة وان كان لها دخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع
الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا
المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان
المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة
منها مدلولا وضعيا لها لم يكن ما دل على الهيئة المشبهة بها عند استعماله في الهيئة
المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز
اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي
هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة ذهب قدماء المحققين
كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما برأسه ومن رام تعليل الاقسام
عد تلك الهيئة المشبهة من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند
استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه
استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عنده
من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة
عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس
بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو

ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم
لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول
عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او
بقلوب قدر ختم الله عليها كما في سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطالت غيبته
ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى
وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق لتحصيل ايمانهم طريق
بالاجبار والقسر لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد
لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بتراميهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر و
الفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما ومنها ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم و
على سمعهم عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه
ولوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة
الجار للتاكيد وللاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم
الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فا
الختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدمه على سمعهم فهو باق على حاله
حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا
اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم
في تلك الحال او لان جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق
الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها
احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما
قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله نبيا اصم ولان به وسيلة
الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوصيل للانس عن اللبس واعتبار
الاصل والتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر
من فصل وعلى ابصارهم غشاوة الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة

تعالى من التغشية اى التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة والتنكير للتفخيم
والتهويل وهي على سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية
للايذان بدوام مضمونها فان ما يدركونه بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس
حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الآيات التي يتلقى بالقوة السامعة
فلما كان وصولها اليهم حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طرقي معرفته اعني
القلب الجملة الفعلية وعلى رأي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب
على تقدير فعل ناصب وجعل على ابصارهم غشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب
وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير
المعجمة والرفع **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال
بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش
ويردعه ولذلك سمي نقاخا لانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه يرفته على القلب
ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن
المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض
والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون
العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته
او خطره ووصف العذاب به لتأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في
ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا عما يتعارفه الناس وهي غشاوة
التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا
نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين **ومن الناس** شروع في بيان ان بعضا من
احوالهم السالفة ليسوا بمقصورين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون
اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لاحوالهم
عاجله وآجله واصل ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس وحذفت همزته
تخفيفا كما قيل لوقه في الوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما
ما في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ وسموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس
بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت
واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه مأخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع
العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم يروى عن ابن عباس انه قال

سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه للعهد والجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر في
الموصول لكانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض
ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او نعت لمقدر هو المبتدأ كما في قوله عز وجل
منا دون ذلك اى وجمع منا دون ذلك او من فوله تعالى **من يقول** موصولة او موصوفة ومحلها الرفع
على الخبرية والمعنى وبعض الناس وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي
او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز
الصلة والصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف
خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال ايثارا لمجازه المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفائدة
كما قيل فان مبناه كون الاعراض بان الناس الجنس مطلقا وكذا مدار الجواب عنه بان الفائدة هو التنبيه على ان
الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان يعلم كونه من الناس فيجري به ويتعجب منه وان
خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او عن جنس المقصودين على المصرين ولا مكان فالفائدة ظاهرة بل لان
خبرية الظرف تستدعي ان يكون اتصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة اية عنوانا
للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد في
انه يجب حمل النظم الجليل على اجل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله
آمنا بالله وباليوم الآخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان
يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعاء
انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد
دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين
بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية
عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم
لم يكن ذلك ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر فكيف وهم
يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم **وما هم بمؤمنين** رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما يجاريه فان ...
دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي تقاوم في بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة
في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهم ان الجملة الاسمية
الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام
النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار
الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم

فضلا الاجل لاستمرار عدم التحمل واطلاق الايمان عما يقيدونه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان
في شيء فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور والمراد
الاية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون فلا يحاسبها على الكرامية القائلين بان من تفوه
بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه وينافيه ثم من **يخادعون الله والذين امنوا** بيان
لقوله وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن
كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الى اخره اي يخدعون وقد قرئ كذلك
وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكمية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكيفية
كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به
من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو عنه بسهولة
من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب حجره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه
الاخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها
الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة وايا ما كان فنسبته الى الله تعالى اما
على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة
المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما يحقه ان ينسب الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ابانة لمكانته
عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما مجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين امنوا
والايذان بقوة اختصاصهم به كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد فمن جهة عن اعتقادهم
الباطل كانه قيل يزعمون انهم امنوا يخدعون الله والله يخدعهم وعلى جعلها استعارة تبعية او تمثيلا
لما ان صورة صنعهم مع الله والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده
اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاتهم بمثل صنيعهم صورة المخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم
اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي
للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ابراز حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة
وبيان ان غايتها ايلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وجل **وما يخدعون الا انفسهم**
فالتعرض لحال الجانب الاخر مما يخل بتوسيه المقام حتما وهو حال من ضمير يخدعون اي يفعلون ما يفعلون
والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا

انفسهم

انفسهم بحيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخدعون و
المعنى هو المعنى من حافظ على الصيغة فيما قبل وقال ما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة ا
المخادعين الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ
وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم
بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان النفس الحي به وللقلب ايضا
لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد ههنا
هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى
وما يشعرون حال من ضمير يخدعون اي يقصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي
لا يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشيء
اصلا لجعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مسلوب الحواس
مختل المشاعر **في قلوبهم مرض** المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب
الخلل في افعاله ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة
على كونه نوعا منها غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين
من استمرار عدم ايمانهم نوعا منها غيرا وتعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه
فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة
على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة
بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازدادوا التكاليف بنزول
الوحي يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض عبارة مستعارة لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور
عند مشاهدتهم لعزة المسلمين وزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في
قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانزال الملائكة وتاييده بفنون النصر
والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ استيناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم
يخادعون ويداهنون ولم يجاهروا بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم مرض ضعف مضاعف
هن حالهم في الدنيا **ولهم في الاخرة عذاب اليم** اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع
حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت
كما سيجيء ذلك في قوله تعالى بديع السموات والارض **بما كانوا يكذبون** الباء للسببية او للمقابلة وما

مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي
بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وهم
غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشا الايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره
عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون مجهولا
على الظن كمعنى رأى من يجوز لكان الناقص مصدرية كما في قول الشاعر ببذل او حلم ساد في قومه فتى
وكونك اياه عليك يسير اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار ونزيب العذاب
عليه من بين سائر موجباته القوية اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور
شركتهم للمجاهدين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر
كما ينبي عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من
العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى سماحة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المختلفة لا نفراده بالسببية
مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية
قبحه وللتنفير عنه عن الصديق رضي الله تعالى عنه ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي عن ابراهيم عليه السلام من كذب ثلث كذبات
فالمراد به التعريض وانما سمي به لتشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف اي بالذي
يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والقران وما
مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام والقران او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان
العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين وبان وقلص وللتكثير
كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه
فان المنافق متوقف في امره متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف
زمان مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يجب الا في امر متحقق او مرجح وقوعه واللام
متعلقة بقيل معناه الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ
وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللايقة به والصلاح مقابله
والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال
امر المعاش والمعاد وكان ادعاءهم ما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم
وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم
على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل لها من الاعراب

لا باس

ولا بأس بتخلل البيان او الاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي
وان جعلت موصوفة فمحلها الرفع والمعنى من الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض
قالوا ارادة للناهين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء
كونه اصلاحا محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن مصلحون اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث
لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان
يرتاب فيه واما الكلام مستانف مسوق لتعديد شنايعهم وما عطفه على يكذبون يعني ولهم عذاب
اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه
ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها
عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكى عنهم
من قولهم امنا بالله وباليوم الاخر او لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله
مما يوجب نسيان جانب الاخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعلية قصدا
كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الاية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الاية الى غير ذلك ولا ريب
في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب
اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها
ان تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد الوجهين مفصحة لا نصافهم بكل واحد من تلك
الاوصاف قصدا واستقلالا كيف لا وقوله عز وجل الا انهم هم المفسدون ينادي بذلك نداء جليا فانه رد
من جهته تعالى لدعويهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستيناف
المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها
فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده و
لذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى القسم واختها التي هي اما من طلايع القسم وقيل هما
حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل
لرد ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون
للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهذه الكلام في الشرطيتين
الاتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خبائثهم وهناتهم واظهار
فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف
اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد امنوا حذف المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما امن

الناس الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اي امنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية
وكافة في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين اي
حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية
العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة
منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان
زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن
سلام واضرابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا من شوائب النفاق مماثلا لايمانهم قالوا
للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان أنؤمن كما آمن السفهاء
مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة
وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم
في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فراه حسنا فمن حسب الضلال هدى
يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شانهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
والتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله واياما كان
فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شان التنزيل ان يكون صدور هذا القول
عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير
الاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق
والسياق وعلى هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدي
انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام و
المؤمنين بذلك عنهم وانت خبير بان ايراد صدوره عن احد المتحاورين في الجملة التي معها ما
جرى بينهما من مقام المحاورة والاعهد في الكلام فضلا عما هو في منصب الاعجاز فالحق
الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه
ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما انه
كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير
بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها وكانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك
نهي عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان

وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو
امنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تامرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة
المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليه ذلك بقوله عز قائلا ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ رد و
جهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التاكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة
مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى
انما نحن مصلحون فان حمله على معنى الاخير كما هو راي الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين
بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا اظهار منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق
والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه
اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة
مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى توسيط من
يتصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله ولكن
لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين
قاصدين للاخلاص وما بهم للافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا
يتحاشون عن ارادة الامضارة في الدين وخيانة المؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير
اليه من ان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار صدور الافساد المنسوب
اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما نهيتمونا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين
استهزاء بهم وارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
والله سبحانه وتعالى اعلم بما اودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة و
التوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الاية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا
لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم
على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما
النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا
فامر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة السابقة بلا يشعرون وإذا
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة
حسبما تباين المخاطبين وسياق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم
ولذلك لم يتعرض ههنا لعلو الايمان فليس فيه شائبة التكرير روي عن عبد الله بن ابي واصحابه
خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فقال ابن ابي انظروا

كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال مرحبا
بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الباذل ماله
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله تعالى عليه ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا
بابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله تعالى عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين
شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن الي تقول هذا والله ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم
ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه
خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبروه
بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا
واذا خلوا من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالباء او خلا بمعنى مضى ومنه القرون
الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه
على ان تعديته بالى فقوله تعالى الى شياطينهم لتضمنه معنى الانهاء اي واذا انهوا اليهم السخرية الخ وانت
خبير بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم
للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين
القائلون صغارهم ذلك وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد
فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط
اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد
لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم تحقق الثبات على ما كانوا
عليه من الدين والتأكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين
فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه او الثبات عليه انما نحن اي في اظهار الايمان
عند المؤمنين مستهزءون بهم من غير ان يخطر بالبال الايمان حقيقة وهو استيناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء
المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزءون
بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة
لدينهم او تأكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم
الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع
وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع به وتخف الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي

باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ او المقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء
عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء بهم اما في الدنيا
فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان
واما في الآخرة فبما روي انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوها فاذا صاروا اليه سد عليهم
الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف ولم يعطف ليدل على
انهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهر شناعتها عند السامعين وتعاظم
ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو
الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس له
استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما
لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز
وجل اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر الاوقات من تهتك
استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما ينبئ عنه قوله عز
وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون
ويمدهم اي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج
اذا اصلحتهما بالحبر والزيت وايثاره على يزيدهم للرمز الى ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما
يتحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة وقرئ
يمدهم من الامداد وهو صريح في ان القراءة المشهورة من المدد لا من المد في العمر على انه يستعمل باللام كا
لاملاء قال الله تعالى ونمد له من العذاب مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف
الاصل لا يصار اليه الا بدليل في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد
افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان ولقيان وفي
اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتب المدد على سوء اختيارهم
يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في
البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا المد
الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي محقق لقاعدة اهل الحق من ان
جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة
اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم نكبوا الى استعارة التأويل فحملوه
اولا بانهم لما اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك المدد

في الطغيان ايلاؤه اليه تعالى نفي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لانه اسناد الفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه اياه واقداره **اولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله **الذين اشتروا الضلالة بالهدى** والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان ذلك في عقد المعبر بالشراء مفهوم مدهو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى لا للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه ثم اتسع فيه فقيل اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيذرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ولما اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا لهم قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم حسبما هو الشأن في البيت ولا ريب في انهم بمعزل عن الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما يجري مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى يكون حاصلا لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتأخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوه وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في مدة الطغيان

وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المعجزات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ما ذكر ما قصر من اول السورة الكريمة الى هنا ضايعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ان جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقة دينه بما كانوا يشاهدونه في التورية من نعوته عليه السلام وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة **فما ربحت تجارتهم** عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال فلان في تجارته اي استشف فيهما واصاب الربح واسناد عدم الربح الذي هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير ولا ينافي ذلك كون التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اذ ليس من ضرورة الترشيح ان يكون باقيا على حقيقته تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رأيت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله وما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للرأس واللحية او للفودين اعني جانبي الرأس

ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ الشرى ولفظ ابن داية للشعر الاسود كذا
لفظ التعشعش مع كونه مستعارا للحلول والوكر المستعمل بن ترشيح لتبلغ الاستعارة بن باعتبار
المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم **وما كانوا مهتدين** اي الى طرق التجارة
فان المقصود منها سلامة راس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة
اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان راس
مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خاسرين خالين عن
طريق التجارة بالكلية منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في
الترتب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا **مثلهم** الخ زيادة كشف لحالهم و
تصوير لها غب تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار
من حيث النفس تهويلا لهما وابانة لفظاعتهما وان التمثيل الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من
مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل المعنى وقمع سورة الجامح الابي كيف
لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها الى معرض المحسوسات الجلية وابداء
للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المألوف فالمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير
يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه
بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا
بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر عظيم
من غير ان يلاحظ بينهما او بين شيء اخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف
الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون **كمثل الذي** اي الذين
كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى **استوقد نارا** نظرا الى
الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة
الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف
لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين
والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد
كما هو شان اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيد للدلالة على زيادة المعنى ولذلك
جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار
محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا وايقادها طلب وقودها اي
سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم **فلما اضاءت ما حوله** الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه

قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها
على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما اضاء ما حوله والتأنيث لكونه عبارة
عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها وما ملصقة على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل
منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور
ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفأ الله
نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد وتحو كما
ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حسبما لم يقل فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما او استئناف
اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره او بدل
من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما
ذهبوا به للايجاز والامن من الالتباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين
متحيرين بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى عز وجل واما
لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل
بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه
وما اخذه الله تعالى فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى
النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف و
المراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فان الظلمة التي هي عدم
النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده
الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النوعين
اثر واما لان المراد بالنار ما لا يرضى الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في
قوله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ووصفها باضاءة
ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى
بعض المعاصي ويهتدوا بها الى طرق العبث والفساد فاطفأها الله تعالى وخيب امالهم وترك
في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب فالا
تركه جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك
ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات بسكون اللام
وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعدد والمعنى ان حالهم
العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة

سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدى او بالهدى الذى هو النور المعنوى المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق تعالى وبالهدى الذى كانوا حصلوه من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه فى ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار **صم بكم عمى** اخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتأويل المشهور كما فى قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمى به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا اسماعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوه من المعجزات الظاهرة على يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة فى الآفاق والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدى تلك المشاعر بالكلية وهذا عند محققى سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسى التشبيه كما فى قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة فى السماء لا ان المقدر فى النظم الكريم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التى يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقى كما فى قول زهير لدى اسد شاكى السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم **فهم لا يرجعون** الفاء فيه للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اى هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذى تركوه وضيعوه او عن الضلالة التى اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم فى ظلمات هائلة من غير تعرض لشعرى السمع والنطق ولا لاختلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمير المتقدم فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له لبيان ما اصابهم ليس بمجرد انطفاء نارهم وبقائهم فى ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدأوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما فى قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب

فى تركهم

فى تركهم او المرفوع فى لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضميران للمستوقدين **او كصيب** تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم فى فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب فى شأنه الامثال ويرخى فى حلبته عنان المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامى الاطناب والايجاز فما ظنك بما فى ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم فى هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سيأتى من الضمائر المستدعية لذلك اى كمثل ذى صيب وكلمة او للايذان بتساوى القصتين فى الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذى له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا بذ نبح الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الوعد صيب ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثانى وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار فى التمثيل الاول وامد به ما فيه من المبالغة من جهة مادته الاصلية التى هى الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومن جهة مادته الثانية اعنى الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب **من السماء** متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهى فى الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اى ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اى كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى واوحى فى كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات** اى انواع منها وهى ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتى الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر فى عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقى مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها **ورعد** وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا **وبرق** وهو ما يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا اى لمع وكلاهما فى الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما فى الصيب باعتبار كونهما فى اعلاه ومصبه ووصولهما اليه وكونهما فى الظلام الكائنة فيه والتنوين فى الكل للتفخيم والتهويل

كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف
على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال
منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول على تقدير
كونه صفة لصيب والضمائر في قوله عز وجل **يجعلون اصابعهم في اذانهم** للمضاف الذي اقيم
مقام المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكم
من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام
مقامه من القرية قال حسان رضي الله تعالى عنه يسقون من ورد البريص عليهم بردى
يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف
الى بردى والا لكان لانث حتما وايثار الجعل المبني عن دوام الملابسة واستمرارها لاستقرار على
الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار
الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كانهم
سدوها بجملتها لا بانا ملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم
وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح فضلا عن النهج المعتاد وكذا
الحال في عدم تعيين الاصبع المعتادة اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استئناف
فلا محل لها من الاعراب مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة
فماذا تصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله تعالى **من الصواعق** متعلق بيجعل
اي من اجل الصواعق المحرقة للردع من قولهم سمعا من الغمة والصاعقة قصفة رعد هائل ينقض
معها شقة نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة
لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعافية وقد يطلق على كل هائل
مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد
الاذان انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق
لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته **حذر**
الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره
واصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو
نصب على المصدرية اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف
وقرئ حذار الموت والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان
الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة **والله محيط بالكافرين** اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به

شبه

٣٠

شبه قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت
او شبه الهيئة المنتزعة من شئونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فا
لاستدارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها
من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع
الهيئة المشبهة بها اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في
التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا
من سد الاذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد باس الله
عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من
الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشي من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من
جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون وقد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب
الله تعالى في الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تاخيره
لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشان المشبه **يكاد البرق** استيناف اخر وقع جوابا عن سؤال
مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك **يخطف ابصارهم** اي يختلسها
ويسلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخر اسبابه وتعا
ضده لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن
كلمة ان وشذ مجيئه صريحا كما في قوله تعالى فابت الى فهم وما كدت ايبا وكذا مجيئه مع ان حملا لها على
عسى كما في شعر قوله رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمحصا كما تحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقاربة
في اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف
بفتح الياء والخاء وتشديد الطاء بنقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على
اتباع الياء للخاء ويخطف من صيغة التفعيل من قوله تعالى **كلما اضاء لهم** كلما ظرف وما مصدرية
والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اي
كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تضاعيف
ذلك الهول ايفعلون باعيني ابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على
ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء **مشوا فيه** اي
في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي
على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما **واذا اظلم عليهم** اي خفي البرق واستتر

والمظلم وان كان غيرهم لكن لما كان الاظلام مدارا على استتاره وآمستندا اليه مجازا لا حقيقة
لما اريد من المبالغة في موجبات تخطيهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل
ومنه ما جلكم فوق الجد تمام جمال الحال الى عنه اجليا • فلا ابيهما عن وجه امرد اشيب • وبعضهم
ترك واظلم على البناء للمفعول قاموا اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين
لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجأ بعضهم وايراد كلمة كلما
مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا
فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يخفى ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض
فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضيته مفروضية الشرط دلالتها
على انتفائه قطعا والمنازع فيه واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد
عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة
مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلوم اما في مادة الدوران
الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود
المشية علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم
المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط
كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع
الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا
او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما
سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان
لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فيتعين انتفاء الملزومين حقيقة في
الاول وادعاء باطلا في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن بطريق السببية
الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الاول
ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت
الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضوء كان
كضوء القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا
ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما
ان يعتبر هناك تحقق مدار اخر له اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه

وبين

وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء
وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب اخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث
هو ليس مدارا لوجود الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار
اخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب اخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزاء
منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس واذا لم يكن بينهما
منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي ما حلت لي
انها لابنة اخي من الرضاعة فان المراد في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من
الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبة عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورة مجامعته
اياه بناؤها على الحرمة الناشئة من كونها ربيبة عليه السلام والحرمة الناشئة من كونها ابنة
اخيه من الرضاعة فان لم يعتبر هناك تحقق مدار اخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة
لها على ذلك اصلا كيف لا وسياق الكلام ح لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه
ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربي اذا لامسكتم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كان الايمان في الثريا لناله رجال
من فارس وقول علي رضي الله تعالى عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة
قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها
مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو
الوصلية على طريقة قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور وكلها تفاصيل تفاريع
حررناها في تفسير قوله تعالى او لو كنا كارهين وقول عمر رضي الله تعالى عنه نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن الخوف بمدار اخر كالحياء والاجلال
وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه
مبالغة كان من هذا القبيل ولا يتقوا ردها على الاستعمال الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم
وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى لو تعلقت مشيئة الله
تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها
بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية
محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا مجردة عن الدلالة على انتفاء
لاحدهما لانتفاء الاخر وكان مفعولها مضمونا للجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا
مستغربا كما في قوله • فلو شئت ان ابكي دما لبكيته • عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح
وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الا ان الاول
فى المشهورة لان السمع مصدر فى الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل
الاستينافية وقيل على كلما اضاء لهم وقوله عز وجل ان الله على كل شئ قدير تعليل للشرطية
وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهانى والشئ
بحسب مفهومه اللغوى يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا من كان على انه فى
الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى فى ذلك تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار
عنه فقط وقد خص هاهنا بالممكن موجودا كان او معدوما لما يقتضيه اختصاص تعلق
القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هى صفة تقتضى
ذلك التمكن والقادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء
كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير البارى جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود
حال وجوده انه ان شاء ابقاه على الوجود ابقاؤه عليه فان علة الوجود هى علة البقاء وقد مر
تحقيقه فى تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه ومعنى قدرته على المعدوم
حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة
بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفى العجز واشتقاق القدرة من القدر
لان القادر يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور
العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شئ وكل شئ مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من
التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما فى قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى بان يشبه المنافقون فى التمثيل الاول بالمستوقدين
وهداهم الفطرى بالنار وتأييدهم اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم
التام من الانتفاع به باضائتها ما حولهم وازالته باذهاب النور النارى واخذ الضلال
بمقابلته بملابستهم الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها ويشبهوا فى التمثيل الثانى باصحاب الصيب
والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التى هى مدار الحيوة الابدية بالصيب الذى هو سبب
الحيوة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال
وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من
بحال من يهوله الرعد والبرق ويخاف صواعقه فيسد اذانه منها ولا خلاص له منها
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم فى مطرح

ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم فى امرهم حين عن مصيبتهم بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن
الحمل على التمثيل المركب الذى لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة فى جانب المشبه
هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة فى جانب المشبه به بل ينتزع من
المنافقين واحوالهم المفصلة فى كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد
من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة منتزعة بحيالها فتشبه
كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو الذى يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه
فخامة شأنه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زائد هو تشبيه الهيئة
بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون
مثلا فى الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى طبقة كتابه الكريم
وتحزب الناس فى شأنه الى ثلث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع و
الاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق • واخرى مذبذبة بينهما
بالمخادعة والنفاق • ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من
المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها
لقلوبهم نحو التلقى وجبرا لما فى العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم
عن الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة
البعيد اما اجلالا كما فى قول الداعى يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد او استقصارا
لنفسه واستبعادا له من مخالف الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء
فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشأنه واى اسم مبهم جعل
وصلة الى نداء المعرف باللام لما انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزام رفعه مع
انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيدا
لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه ولما ترى من استقلال هذه
الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها فى التنزيل المجيد كيف لا
وكل ما ورد فى تضاعيفه من الاحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان
تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم
عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد فى الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس
كافة المكلفين الموجودين فى ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام
بدليل صحة استثنائها منها والتأكيد بما يفيد العموم كما فى قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم

اجمعون ولا سند لا للصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بعمومها شيئا بعا معا
واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم
تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه
شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم
ما روى عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ
ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية خصوصهم
بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض
المكلفين قبل ورود هذا الامر لما ان المأمور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة
والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها وكذا في انتفاء
شرطها في الاخرين منهما اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا يتم الا به وقد
قد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بالتوضي
لا محالة وقيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل
والخضوع وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كل ما ورد في القرآن من العبادة
فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا يقدح في كون بعض من الفريقين
الاخيرين ممن لا يتحدى فيهم الاخيرتين ممن وسمهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا
اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم
بسوء اختيارهم كذلك لو ورد النص بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب
بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى
بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها
للعبادة الذي خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر تعليل وقد جوز
كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم
من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالقياس وقرئ خلقكم بادغام
القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب والمنتظم لهما قصد
التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن
ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم
فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن

ضرورة

ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خالقيته تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم
التعرض لخلق ما عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخالقية وان
اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان
بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ من قبلكم باقحام من
الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كاقحام اللام بين المضافين في لا اباك وبجعله موصوفا
بالظرف خبر المبتدأ محذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم لعلكم تتقون المعنى الموضوع
لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب
فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل
اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع في الاستعمال لان
معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس
التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد
يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع
متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع اصلا فان روعيت في الاية
الكريمة حيثية المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل
فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها
لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل
منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة
تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل
بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون
منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي
ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه
ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو
العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة التركيب
المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما لجعل المشبه ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم
اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين
على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او على

له بان خلقكم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا اي كي تتقوا لا
بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة
واما بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان
استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها
بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة
لتكميل علية المأمور به وتأكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار
تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى
جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والالزام به احرى وان روعيت من جهة
المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم
راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها
الثالثة التي هي التبتل الى الله تعالى عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن
مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون ومآلا انتظام القدر
المشترك بين اثباته والثبات عليه لتحلي ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي
التوقي عن العذاب الخالد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين
ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار
بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التأخير
من زيادة طول الكلام وهذا على تقدير اعتبار التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة
فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم
واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما
براهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث
يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء
قطعا واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم
عبادته تعالى على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الآيات التكوينية
المنصوبة في الانفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك
الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة
واوضح دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذي جعل لكم الارض فراشا وهو

في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح
او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا فان ما يلتزم حذف الفعل في المنصوب
على المدح اشعارا بانه ادعى كما في المنادى وحذف المبتدا في المرفوع اجرى للوجهين
على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي
ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك
مع كونه اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب
الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل
المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تأخير ما
حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة فيتمكن لديها عند وروده عليها
فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم
الكريم ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها
متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس
من ضرورة كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم حجمها مصححة لافتراشها
وتسميتها بساطا ومهادا والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان
احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس
يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة او سماوة والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني
بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا
عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب
ومن السحاب الى الارض كما روي ذلك عنه عليه الصلاة والسلام او المراد بالسماء جهة العلو
كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار وهو على الاولين لتربية الفخامة ومن لابتداء الغاية
متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما
تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التأخير عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله
ومبدؤه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله فاخرج به
اي بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة
فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة
على المادة الممتزجة منها وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى فانه قادر على ان يوجد جميع الاشياء
بلا مباد ولا مواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها متقلبة في

انشائها متعلقة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبر او مزيد ظهار بينة الى عظم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى الرزق واما شاع ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات في قولك ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلاثة قروء او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق بالامر السابق مرتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي او الانتهاء او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه وخصوها به والاظهار في موضع الاضمار للمار آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى فكانه اي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعض المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل الخ على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي خلق لكم هذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وبه

ملى

ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل عن مناطية النهي مع عراقتها فيها وقيل هو خبر للموصول بتأويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى رأي الاخفش في تنزيل الاسم الظ منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند مثل المنادي من ند ندودا اذا انفرد وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها مماثلة له تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل • اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور • تركت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل الرجل البصير • قوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا مصروف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الرأي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك فلا تعلق له باصله لتنشيط المخاطبين على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل النهي عنه المقدر المشترك المنتظم لانتهائهم كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شأن المؤمنين حسبما فصل في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ ينبغي ان يظن بقصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها ابلغ وذلك انما يتصور في حق الكفرة لمن صرف التقييد الى نفس الامر النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من مثال ما مر من التكليفات وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا يجد في ابقائه التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رفع محل المؤمنين ورفع شأنهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة

حسبما نطق به صدر السورة الكريمة مستغنون عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري
ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا يذل من ثبت قدمه عليه فتأمل وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الآيتين الكريمتين
الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى
لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها ابراؤه
عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه
من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره
عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والفساد هو الارتياب في شأنه واما الجزم المذكور
فخارج عن دائرة الاحتمال كان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون
ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الضعيف لكمال وضوح
دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف
من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به
قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار
استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو
دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب
وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه من ذلك وما موصولة
كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه و
ليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس
كونه وحيا من عند الله عز وجل وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال
لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم
كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كأنه
قيل ان ارتبتم في شأن ما نزلنا على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم
فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى
غاية ما يكون من التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم بعنوان العبودية
مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل و
انقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو صلى الله تعالى عليه وسلم وامته او جميع

الانبياء

٣٦

الانبياء عليهم السلام بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه
والامر في قوله تعالى فأتوا بسورة من باب التعجيز والمقام التحدي كما في قوله تعالى فأت بها من المغرب والفاء للجزاء
وسببية الارتياب للامر او الاتيان بالمأمور به لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه
سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كأنه ان كان كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا
بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم و
اقلها ثلث ايات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن
معروفة محررة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلم احتواء سور البلد على ما فيها او من السورة
التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فان سور القرآن
مع كونها في انفسها مراتب من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي
من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القارئ شيئا فشيئا وقيل واوها
مبدلة من الهمزة فمعناه البقية من الشيء [illegible] لا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة
بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو
الطبقة والنظم البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا
محققا وقد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه قيل فأتوا ببعض ما هو مثله فلا يفهم منه كون
المماثلة من تتمة المعجز زعم فضلا عن كونها مدارا للعجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم
بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم بإباء ما سبق
من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تقدير تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بعيد
جدا وقيل هي زائدة كما هو رأي الاخفش بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله بعشر سور
مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا
قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه
فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية يهون الخطب في الجملة الا
تخصيص التحدي بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمعجز
به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة وارادة الجميع
مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين
هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما
ينطق به قوله وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير
مماثل له في صفات الكمال لا لما بجملته واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى

الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او بمعنى دون اى ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون
ذاك اذا كان منحطا عنه قليلا ثم استعير للتفاوت فى الاحوال والرتب فقيل زيد دون
عمرو اى فى الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم من غير
حطة انحطاط احدهما عن الاخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة بادعوا
فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار
من حضركم كائنا من كان او الحاضرين فى مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم
الذين تفزعون اليهم فى الملمات وتعولون عليهم فى المهمات او القائمين بشهاداتكم الجارية
فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين
بنصركم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى عن حكم الدعاء
فى الاول مع انه داخل فى المحضور لتاكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى
بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه واما فى سائر
الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم فى عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين
استظهارهم على ما سواه والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من
دون اولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا
لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم يابون ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين
الفساد وجلى الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدى لاولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا
شهداءكم فيحجوا انهم دعويكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد ان ما
ندعيه حق فان ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعون تحقيقه ما هم عليه من
الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدى وان اريد مثلية ما اتوا به للتحدى به فمع عدم
ملائمته لابتداء التحدى يوهم قد قصدوا المعارضة واتوا بشيء مشتبه الحال متردد بين
المثلية وعدمها وانهم ادعوها مستشهدين فى ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك يمس
الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهى عن الاستشهاد به تعالى وانى لهم وما
ينفر لهم عرق ولا ينبسوا ببنت شفة واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام و
دون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل
عليه شهداءكم اى ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم الهة متجاوزين الله تعالى فى اتخاذكم
لذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداؤه من التجاوز والتعبير عن الاصنام با
بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من انها بمكان من الله وانها

تنفعهم

تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق فان ما هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم فى كل امر مهم وملجأ
يأوون اليه فى كل خطب ملم كانه قيل وليكن عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التى دهمتكم وفى
الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث اثروا عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع
صفات الكمال عبادة من لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعى الذى
هو ادنى مكان من الشيء لقدامه كما فى قول الاعشى • تريك القذى من دونها وهى دونه •
تريك القذى قدامها اى قدام القذى فتكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم لكفاية رائحة
الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اى ادعوا شهداءكم الذين يشهدون
لكم بين يدى الله تعالى ليعينوكم فى المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط
الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى ما يقوم بهذا الامر فى
ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان به فى كل مرام وفى امرهم على الوجهين بان يستظهروا
فى معارضة القرآن الذى اخرس كل منطيق بالجماد من الهتكم تهكم بهم ملا يوصف وكلمة من هنا
تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه
ومن خلفه لان الفعل انما يقع فى بعض تلك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض
الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون فى جميع المواقع بمعنى فى كما فى سائر الظروف التى لا
تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة
القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية اى ادعوا الذين يشهدون
لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا
لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون
اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والحق ان هذا الامر ارخاء العنان و
الاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا تميل لهم الى احد الجانبين
كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذرا
من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا والاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث
لم يبق الى المكابرة سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملايمة لابتداء التحدى وعدم تناوله
لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا فى اثبات مثليته المتحدى
به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك ان كنتم صادقين اى فى زعمكم انه من كلامه عليه
السلام وهو شرط حذف جوابه للدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله
الخ واستلزام المقدم للتالى من حيث ان صدقهم فى ذلك الزعم يستدعى قدرتهم على الاتيان

بفصحاء مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما لهم من طول الممارسة للخطب
والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام لا سيما عند
المظاهرة والتعاون ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر به
فإن لم تفعلوا أي ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم
في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وإنما لم يصرح به إيذانا
بعدم الحاجة إليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وإنما أورد في حيز الشرط مطلق الفعل و
جعل مصدر الفعل المأمور به مفعولا له للإيجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري
استقر به المقام وهو الإيذان بأن المقصود بالتكليف هو إيقاع نفس الفعل المأمور به لإظهار
عجزهم عنه لا تحصيل المفعول أي المأتي به ضرورة استحالته وأن مناط الجواب في الشرطية
أعني الأمر باتقاء النار هو عجزهم عن إيقاعه لا فوت حصول المفعول فإن مدلول لفظ الفعل
هو نفس الأفعال الخاصة لازمة كانت أو متعدية من اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة
فإذا علق بفعل خاص متعد فإنما يقصد به إيقاع نفس ذلك الفعل وإخراجه من القوة
إلى الفعل وأما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وإنما
يستفاد ذلك من الفعل ولذلك تراهم يتوصلون إلى تجريد الأفعال المتعدية عن مفعولاتها
وتنزيلها منزلة الأفعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الإعطاء والمنع
يرشدك إلى هذا قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله
ائتوني بأخ لكم من أبيكم فإنه لما كان مرام يوسف عليه السلام بالأمر مجرد عرضه ما يتجلبه
منه استحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية لهم إلى الجد في الامتثال والسعي
في تحقيق المأمور به بالإشارة الإجمالية إلى الفعل الذي ورد به الأمر بأن يقول فإن لم تفعلوا بل
أعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا للمطلوب وإعرابا عن مقصده هذا وقد قيل أطلق
الفعل وأريد به الإتيان مع ما يتعلق به إما على طريقة التعبير عن الأسماء الظاهرة بالضمائر
الراجعة إليها احترازا عن التكرار أو على طريقة ذكر اللازم وإرادة الملزوم لما من التلازم المصحح
للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر وإيثار كلمة إن المفيدة للشك على إذا مع تحقق الجزم بعدم
فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة أو تهكم بهم ولن تفعلوا كلمة لن لنفي
المستقبل كلا خلا أن في لن زيادة تأكيد وتشديد وأصلها عند الخليل لا أن وعند
الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي إحدى
الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزأي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها و

مؤكدة

مؤكدة لإيجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل
وقد وقع الأمر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يداني في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن
سلف فاتقوا النار جواب للشرط على أن اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد إذ بذلك
يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كأنه قيل فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا
من إنكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فإنه مستوجب للعقاب بالنار لكن أوثر عليه
الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها
للمبالغة في تهويل شأنه وتفظيع أمره وإظهار كمال العناية المذكورة بتحذير المخاطبين منه و
تنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكنى عنه وفيه من الإيجاز البديع ما لا يخفى حيث
كان الأصل فإن لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم وإذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم
الإيمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة صفة للنار مؤذنة لها بزيادة هول وفظاعة أعاذنا الله من ذلك والوقود
ما يوقد به النار ويرتفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة
كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى أنها من الشدة بحيث لا تعتبر شيئا من رطب
ويابس إلا الحجر فتمده لا كنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب إلى وقود من حطب أو حشيش وإنما
جعل هذا الوصف صلة للموصول المقتضية لكون انتسابها إلى ما نسبت هي إليه معلوما
للمخاطبين لأنهم سمعوه من أهل الكتاب قبل ذلك أو من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
أو سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فأشير هاهنا إلى ما
سمعوه أولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور
وأما أن الصلة يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب أو المخاطب
فمدفوع بأن المخاطب هاهنا المؤمنون لأنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم والمراد بالحجارة الأصنام وبالناس أنفسهم حسبما ورد في قوله تعالى إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم الآية أعدت للكافرين أي هيئت للذين كفروا بما نزلناه والمراد
إما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيه دخولا أوليا وإما هم خاصة ووضع الكافرين موضع
ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقد قرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة
على أن النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون
ما قبلها ومؤكدة لإيجاب العمل به ومبينة لمن أريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال
بإضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة أو عطف

على الصلة بترك العاطف وبشر الذين آمنوا بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف
على الجملة السابقة لكن لا على ان المعتمد عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه
عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية
عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب والترهيب والوعد بالوعيد وكان
تغيير السبك ليحصل كمال التباين بين حال الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا
للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه
معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما وتحذيرهم من الاستمرار
على الكفر والخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله عليه
السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيمة فانه عليه السلام
لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتأتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة
شأنه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر
به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة
في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل واللام
للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع
السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب
التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق
البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء
به ان لهم جنات منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن
والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل
بالتفاف اغصانه قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا
اي نخلا طوالا كأنها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس الستره وعلى
الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ان
يكون مأخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من
الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع
على ما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنه جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد
وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة
حسب تفاوت الاعمال واصحابها تجري من تحتها الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات

فان اريد

فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظ وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف
اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموعهما الارض المشتملة عليها والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء
الظ المصحح لاطلاق اسم الجنس على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري من غير اخدود واللام في
الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى
واشتعل الرأس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وجل فيها انهار من ماء غير آسن الاية
والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة و
المراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاز نفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا
كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى لجنات
اجريت على الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها
المتنعمين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كأنه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع
في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول
به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كأنه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتديا من
الجنات مبتديا من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتديا من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه
مبتديا من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتديا من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب
الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رأيت منك
اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا
الماء لا ينقطع فانك وان اشرت ما تغاير بحسب الظ لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم
المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا لكن لما استحكم الشبه
بينهما جعل ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع
مائلة الى المألوف متنفرة عن غير معروف وليتبين بها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا
غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه
الصور كما يحكى عن الحسن رضي الله تعالى عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى
فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه
صلى الله تعالى عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها
فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل
على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا لا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط
الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا

هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له من هذه الرتبة من اللذات والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث
اللذة والحسن والبهجة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا وان اطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي
قطعا هذا وقد فسرت الاية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف
والطاعات متفاوتة بحسب تفاوتها فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده
تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل ثواب الطاعات **واتوا به متشابها**
اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين
كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنس الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق **ولهم فيها**
ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال
النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب
القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهّرة بتشديد الطاء وكسر
الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو
الا الله سبحانه وتعالى واما التطهير فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق
على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي
هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد
كما ان المدار به بقاء الفرد ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخرج ذلك باطلاقه على ثمار
الجنة **وهم فيها خالدون** اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك
قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام
لما قيد بالتأبيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه ولكن المراد
هاهنا الدوام قطعا لما يقتضيه من الايات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء
المتضادة معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مدارة قياس ذلك العالم
الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها
الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفيات متعادلة
في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك
بعضها عن بعض ويبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب
والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم

والمناكح

والمناكح حسبما يقتضيه الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان
جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب
الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لما ترضاه وثبتنا على ما يؤدي
اليه من العقد والعمل **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** شروع في تنزيه ساحة
التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق
للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والمقام المحجر والحام كافة البلغاء من اهل
المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال
بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رضي الله تعالى
عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت
حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى
على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن النكير بل هو من اوضح ادلة كونه
خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس
الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد
المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في درك
الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه ولذلك
شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء
ومن قضيته وجوب التماثل بين المثل والممثل به في مناط التمثيل فيمثل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير
وقد شرفوا الانجيل على الصدور بالحثالة ومعارضة السفهاء بالثارة الزنابير وقد جاء في عبارات البلغاء
اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر
والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي واشتقاقه من
الحياة اشتقاق شظي ونسي وحشي من الشظا والنسا والحشا يقال شظي الفرس ونسي
وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص ويستحيي
بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى
بحرف الجر وقد يحذف منه احدى الياءين وعليه قوله الا يستحيي من الملوك وينتقي محارمه الا تسمو
بالله وقوله اذا ما استحيى الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد فكما انه اذا اسند الى الله
سبحانه يطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي الشيبة

المسلم ان يعذبه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله حي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان
يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا اريد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديث ترك الكريم
ترك تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك شيء يتركه حياء كذلك اذا نفي عنه تعالى المواد
الخاصة كما في هذه الاية الشريفة في قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سبب ذلك الترك
الخاص المضاهي لترك المستحيي عند لا سبب وصف الحياء عنه تعالى اساسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء
لان تخصيص بعض المواد يوهم كون الايجاب من شانه تعالى في الجملة فالمراد هنا عدم ترك ضرب المثل
المماثل لترك من يستحيي من ضربه وتنبيه رمزا الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتآخذ البواعث اليه اذ الاستحياء
انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة
فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من يبلغ
ابناء يعرب كلهم اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه
في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في مواردها خاصا بالمورد دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها
لفقدان الانشاء هناك والامثال ليس بهذا الاعتبار الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين
انشائها في انفسها لكن التعبير عنه ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار الاول قطعا وهو ماخذ اما
من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها
بما كان المضارب قوالب تضرب الامثال بشاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشا بحسبها بعد ان لم تكن كذلك
بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها هناك كعامة الامثال التنزيلية او قبل ذلك كسائر
الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها بما كان المضارب اي ايرادها
منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلزق به بجامع ا
الالزاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا ينفك عنها اشد تعلقها بها
ومحل ان يضرب على تقدير تعديته يستحيي بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته
بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد
حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا
كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرف
مزيد لتقوية النسبة وتوكيد كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف
بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما
مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة
والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن

على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين النصب على
بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على
تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع
فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة
ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع والعطب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة
هذيل من الخمش وهو الخدش
عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه
المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما
الاولى على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على
خبرها اعني على بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى
لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر المضمر وذكر البعوضة
فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع
بل بفرده ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني
الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنا
العنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها في الصغر والحقارة فادنى له تعالى
ان يمثل لكل ما يريد ونظيره في احتمال الوجهين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط
فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين بلغها ذلك سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة
فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اصاب المؤمن
من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما يجاوزها في الالم كامثال ما حكي من الخرور
شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقية
صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل
فيضرب به فاما الذين امنوا الخ وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكي من الكفرة مما لا يفتقر
الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد امر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو
اما حرف متضمن اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته
توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر

على واحد منهما كما في قوله عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه اما زيد فذاهب
فمعناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على
على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدأ
عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الثاني
فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ويكفر به لاختلال المعنى اى فاما المؤمنين
كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة
بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بانه
وان له حكما ومصالحا ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير
المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل والى ضربه اى كائنا وصادرا من ربهم والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب المثل تربية لهم
وارشادا الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور
ومسد مفعول الاول والثاني محذوف عند الاخفش اى فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الا
كتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون
آمنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره الغني عن الذكر
ممن حكيت اقوالهم واحوالهم
ويقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينة دلالة على كمال غلوهم في الكفر وتراميهم
في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة انكارها والاستهزاء به صريحا تمهيدا
لتعداد ما نعى عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من
شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من
يعلمها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل
والعناد تعسف ظ هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه
ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون
كالبرهان عليه فتأمل وكن على الحق المبين وماذا اما متوصلة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ
خبره ذا بمعنى الذي وصلته التي ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه مرفوعا
واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى اى شيء فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع
النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه او القوة التي هي مبدؤه والاول مع الفعل والثاني
قبله وكلاهما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى انما

كونه غير ساه ولا مكره وفي افعال غيره آمره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال
الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انها عبارة عن
ترجيح احد طرفي المقدور على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من
الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب
على التمييز او الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة
في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل عدم
التنبيه بادعاء انه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة
تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل من عنده تعالى سبحانه فقوله عز من قائل
جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة
وغاية جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلين
موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما
بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه تساويهما في تعلقها
وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكير والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى
تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب
على سوء اختيارهم وايثار صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان
موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع
تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب
امرا فظيعا يسوءهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل
هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده
والانكار لحسن مورده ضلال وفسق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا
بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال
حسبما ينطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون
قلتهم الاضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث
العدد وفي الاخيرين من حيث الفضل والشرف كما في قوله ان الكرام كثير في البلاد وان
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع
الاشياء مخلوقة له تعالى وان كان افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله
من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب في قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا

على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتأكيدها ويهدي به
اي بالمثل او بضربه كثيرا عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم
ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت
على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول
والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة عن جحرها اي خرجت
قال رؤبة • يذهبن في نجد وغورا غائرا • فواسقا عن قصدها جوائرا • وفي الشريعة
الخروج عن طاعة الله تعالى عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات
ثلث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة
عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم
المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر
عن تكذيب الحق وجحوده لم يتيسر لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين هنا العاتون المارقون
في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص
الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو
الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل
صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم و
ازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا وما يضل به الا الفاسقين صفة للفاسقين
للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل
ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد كلا المتعاهدين
بالآخر وان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو
من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه • وعالم
يغترف منه الناس • تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق يقال
عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة
القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه
اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والمعنى الظاهر او المأخوذ من
جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم

يكتموا

يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا احكامه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية
ادم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته والثاني ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا
يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه الذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد
فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقه به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ
الجلالة يراد به اياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد
تحقيق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان
وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه الله عز وجل بالكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا
من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا او من بعد توثيقه اياهم بالقبول واما توثيقه تعالى اياه بانزال
الكتب وانذار الرسل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع
الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق و
ترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد
من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو و
قيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما
يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب لما انه اثر الشان وكذا يقال له شيء وهو مصدر
شاء لما انه اثر المشيئة ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني
اولى لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي
عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما
فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور
المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد هم الخاسرون الذين
خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار و
الطعن في الايات بالايمان بها والتأمل في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء
والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله التفات الى خطاب
المذكورين مبني على ايراد ما عدد من قبائحهم السابقة لزيادة التسخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ
والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند
الله وعند رسوله الخ بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في

توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده نفد
انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وكنتم امواتا الى اخره الاية حال من ضمير الخطاب
في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشئون العظيمة الداعية الى الايمان
الرادعة من الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد
خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش
اى في اى حال او على اى حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اى اجساما لا حيوة لها عناصر
واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها
على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله واية لهم الارض الميتة
فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونكم امواتا وان
توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه ثم يميتكم اى عند تقضى
اجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي
هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفادة من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان
الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال
في القبور فايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان زمان المكوث المستمر ثم اليه ترجعون
بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم
للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا لا يتسنى توقفه بشىء منها لما هو حال منه في الاول
لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذين
الاحوال التابعة وكذا التعجب من وقوعه مع تحقيق ما يصحبه وانما نظم ما ينكرونه من الاخير
الاخير والمرجع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما
عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك الفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة
في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها يسمى الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية لكونها من طلايعها
وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها بعض
على ما يقابل كل مرتبة من المراتب قال الله تعالى قل يحييكم ثم يميتكم وقال الله تعالى اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند
تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة له فينا او معنى قائم بذاته
تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو اللائق بالمقام هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا نفي للانكار وتاكيد له من الجهتين المذكورتين غير سبكه عن سبك ما قبله مع

اتحادهما في الحق ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر
ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعاشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير
مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح
لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف اى خلق لاجلكم جميع ما في
الارض المجردات لتنتفعوا بها من امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال
بها على شئون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الاخرة
والامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو
نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول
الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل
في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة
المعاش فظ واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا
وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد
بالفعل ثم استوى الى السماء اى قصد اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء اخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم
استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر هنا اما لعدم تحقق في خلق السفليات
لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله تعالى عنه خلق الله
الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الحجر المفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق
منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما
واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظ وكلمة ثم للايذان
بافضلية المنة والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض
المتاخر عن وجودها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فما روي عن الحسن رضي
الله تعالى عنه والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة
الوجود واما جهات العلو فسويهن اى اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء منصوبة على العوج
والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء
من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والزبول كما في السفليات والضمير على الاول
الاول بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنيع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى
منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح

لتعاضدهما

الناس بذلك اظهروا ان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا
ما قالوا وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى سبع سموات وهو بكل شيء
عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي
على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها و
كامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون
الهاء تشبيها له بعضد قوله تعالى واذ قال ربك بيان لاخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار
والاستبعاد فان خلق ادم عليه السلام وملخصه من الكرامات السنية المحكية من جلائل النعم
الداعية لذويه الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله
تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين للخطاب وتوجيهه
الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدي اليه بادلة العقل كالامور
المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام ومع ما فيه
عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى
مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ
جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع
انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لما وقع فيه بالطريق
البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة
عيانا وقيل وليس انتصابه على المفعولية بل على تأويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة
الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر اخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام [illegible]
اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر
تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة لينتبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما
قيل من ان المقدر هو اشكروا النعمة في خلق السموات والارض وتدبروا ذلك فغير سديد ضرورة
ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بمواجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذلك من مقام
من مقام الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه انه يقتضي ان يكون
هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بسبق من قوله تعالى وبشر الذين امنوا ولا يخفى بعده
وقيل بمضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فائدة في
تقييد بدء الخلق بذلك وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل انه زائد ويعزى

ابي عبيد

الى ابي عبيد ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز شأنه للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور
في هذا الباب مطرد لما في المفعول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر
كما مر انفا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملأك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع
شمأل والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على
انه مقلوب من مالك من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى
المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام
واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر
المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا
يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة
وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم
شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والمقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما
جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طائفة
من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كتبهم انه
صلى الله تعالى عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد و
روي ان بني ادم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات
البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا
وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة
الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها
ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها وما بينهما
لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم
زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش
كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين
هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم
الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين
عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم

منذ خلقت ولا ادري واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سئل واحدا منهم منذ كم خلقت
فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني
اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدرته وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة
الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس انهم [illegible]
مع ابليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها
وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا وقد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال
وسكنوا الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا
وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة واخذه العجب
فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انهم كل
الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة في حيز النصب
على انه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في
صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهو من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى
مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي
التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل في
الارض خليفة ثم صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة فمعناه بعد اللتيا والتي
اني جاعل في الارض خليفة من الخلائف او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة
هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي
يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام قال
قوله تعالى مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى
ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة
الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف
المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة هاهنا اما ان حمل على الحذف
عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما ستفصله كانه
قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل
مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة
عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا

من طين

من طين ان قلت كيف يصح ان يقال لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه
ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى
فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك
بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد
هو خليفة فهو حال الظرف في المتعلق والتقديم كما مر خلا انه لا يكون ما سيأتي من كلام الملائكة مبنيا
عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما
يكون ذلك الخليفة قال تبارك وتعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل
بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه
فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما آدم وبنوه واما آدم فاقتصر عليه استغناء بذكره
عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما
من يخلف او خلف يخلف فيعمه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة
اما الخلافة من جهته سبحانه وتعالى في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة
الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول
الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فيعم الجميع
قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة فقيل
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي لاثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول
والظرفان الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول تعويلا
على ما ذكر هاهنا قال قائلهم • لا تخلنا على غرائك انا • طالما قد وشى بنا الاعداء • يحذف المفعول
الثاني لا تخلنا جازعين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول
متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لما ان في
استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كون
الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد وهو كلمة من والاستخبار بان مدار تعجبهم
ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى عصمتهم
منه يقضي ببطلانه حتما اذ لو صح لدعوى الخصمة منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره
ان يستخلف لعمارة الارض واجراء احكام الله تعالى واوامره ويستخلف مكان المطيعين
على الطاعة من شأن بني نوعه الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها
عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا

تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بهرت على تلك المفاسد والغتها او استخبار عما
يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك
كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله تعالى سبحانه لا شكا في اشتماله على الحكم
والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان
يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما با
خبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ركز في عقولهم من اختصاص العصمة
بهم او بتباين لاحد الثقلين على الاخر ويسفك الدماء السفك والسفح والسكب والسبك انواع من
الصب والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي بقتل النفوس المحرمة بغير حق وتغيير
عنه بسفك الدماء لما انه افتح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك ويسفك من اسفك وسفك ر
وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من قال اتحسن
في خدمة مولاه وهو يأمر بها غيره ما يستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل اتستخلف من من شانه
ذريته الفساد مع وجود من ليس شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة و
استفسار عما رجحهم عليه مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا
بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراطية الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها
الافراطية الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ما
قالوا وذهلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية ومرنتها على الخير يحصل بذلك من علو الدرجة
ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال
الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك
مما نيط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه
من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك التقديس
تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعد له
عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي نتنزه عن كل ما لا يليق بشانك
ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة
فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام واللام في لك مزيدة والمعنى نقدسك
واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فيكون متعلقة بمحذوف اي نقدس
لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب

لاجلك

لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث
النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع قال فا
الاستيناف كما سبق اني اعلم ما لا تعلمون ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء
كائنا من كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد
بل بيان ان فيه عليه السلام معاني تستدعي استخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبني
عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني
والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه
السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما
لشانه وايذانا بابتناء امره عليه السلام على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدوره لهم
عن الغفلة وقيل معناه اعلم من المصالح في استخلافه ما خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة
الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة ومحكمة وان خفي عنهم وجه الحسن والحكمة وان
مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل ويكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا
الفعل لحكمة ما او ذلك مما لا يليق بشانهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون
في انها ما ذا هو راجع الى محض حكم الله عز وجل والى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه و
تعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم
طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وتنزاح شبهتهم بالكلية وعلم
ادم الاسماء كلها شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا
لابهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ما مر من المقاولة
الحكية انما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة
على احواله عليه السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة في الارض وقيل
كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان في ذكره
بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ
وعازر وعابر وفالغ لا افعل والتعدي لاشتقاقه من الادمة والادمة بالفتح بمعنى
الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم من انه تعالى قبض
قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم فلذلك اختلفت الوان ذريته
او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من
العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء

وقد لا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه وخبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما في تفسير المهدوي وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر لحقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه ادراكا بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها ويلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة المنطوية على طبايع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ومجاهد وابن جبير رحمهم الله تعالى اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام بل قبل التعليم على ظاهره ولكن هناك جمل مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم الخ ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن وفي الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعداد ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما

والمراد

والمراد ههنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام فان اول ما ينقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد وسفك الدماء من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه او لا فقيل قالوا سبحانك قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما في قوله سبحانه ثم سبحانا يعود له وقيل صرفه للضرورة وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك عن الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشئا عن كمال طمانينة النفس والايقان باشتمال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزها ناشئا عن ذلك وارادوا به انهم قالوه على اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وجل لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه و[illegible] ان معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة لنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحققهم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون الحكيم المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك وانت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق

من قصور علمهم بما علمه الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي عليهم
فكأنهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما
نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات
التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة ومن جملتها تعليم
آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام
الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها قال استيناف كما سلف يا آدم انبئهم اي
اعلمهم اوثر على انبئ كما وقع في امر الملائكة عليهم السلام مع حصول المراد معه ايضا
وهو ظهور فضل آدم عليه السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بانه علمه
السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق
بان يعلمها غيره وفيه تقليب للهمة باء وتجديد فيها ايضا وانها مكسوبة فيهما باسمائهم
التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما انبأهم باسمائهم الفاء
فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام
للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز
وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك و
اظهار الاسماء في موضع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام
انبأهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال فالمعنى انبأهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال
كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما رأوا انه عليه السلام
لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من
المناسبات والمشاكلات ونحو ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالته عليه السلام
فلما انبأهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له الم اقل لكم اني
اعلم غيب السموات والارض لكنه لا لتقرير نفسه كما في قوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا و
بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام بظهور مصداقه وايراد
ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه
المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام من الامور
المتعلقة باهل السموات والارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما
هنالك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي
وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير

تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه
وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الخ وبما تكتمون
استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق
آدم عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا
الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسر ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان
الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الآية الكريمة
دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة
وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة
بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم
وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع و
ما هو الا من عند الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان
علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا
على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء عليهم السلام
لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة عطف على الظرف
الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف
القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بمضمر دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت
قولنا الخ وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده
على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة
مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة و
تربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار
والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا
لضم الجيم في قوله تعالى اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا
لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع
الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة
تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل
امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى
لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني

وامتزاجهما على عظمه بديع امرهم بالسجود له تعالى الا عاينوا من عظم قدرته فالكلام فيه كما
في قوله • اليسار اول من صلى لقبلتكم • واعرف الناس بالقرآن والسنن • او في قوله تعالى اقم
الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل فسجدوا عطف على قلنا والفا
لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من
سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله
تعالى الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا
بصفاتهم فغلبوا عليه فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا
يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مامورين
بالسجود له لكن استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم
ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبيه بالعجمة حيث
لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة
الاعراف تسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود
دون الوقوع الذي ورد به الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وجل واذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله
تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى اخر الاية يستدعيان بظاهرهما
ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وجل من غير ان يتوسط
بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه
السلام وقد روي عن وهب انه كان في السجود كما نفخ فيه الروح بلا تاخير
تاويل الايات السابقة بحمل ما فيهما من الامر على الحكاية الامر التعليقي بعد تحقق
المعلق به اجمالا فانه ح يكون في حكم التنجيزي اباه ما في سورة الاعراف من كلمة
المنادية بتأخر ورود الامر عن التصوير المتأخر عن الامر التعليقي والاعتذار بحمل
التراخي على الرتبي او التراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به
لما كان في عدم ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه فحكي على
صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه وبينهم عليه السلام من
خروج ابليس من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عند
وجعل هو الاحرى بقضية العقل والنقل والالتجاء الى المتفصي عنه الحيا وبلج نفخ الروح

على ما يعم

على ما يعم افاضة ما به حيوة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال
فالذي يقتضيه التحقيق • ويستدعيه النظر الانيق • بعد التصفح في مستودعات
الكتاب المكنون • والتفحص عما فيه من السر المخزون • ان سجودهم له عليه السلام •
انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله عليه السلام • المنبئ عن المحاورة
المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من
التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضية وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان
الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط
من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلوة
من يوم الجمعة فاسعوا الاية وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب
الاطمينان لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة انما الوجوب عند دخول الوقت
كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي انما هي
حمل الملائكة عليهم السلام • على التأمل في شانه عليه السلام • ليتدبروا في احواله
ويحيطوا بما لديه خبرا ويستفهموا ما عسى يشتبه عليهم في امره عليه السلام لا
بتنائه على حكم ابية • واسرار خفية طويت على علومهم • ويقفوا على جلية الحال •
قبل ورود الامر التنجيزي ويحتم الامتثال • وقد قالوا بحسب ذلك ما قالوا وعاينوا
ما عاينوا وعدم نظم الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية
لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند
حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته فان
حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام • ويستدعيه حسن
النظام • ليست بعزيز في الكتاب العزيز • وناهيك بما تقرر في توجيه قوله تعالى بشرا
مع عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك وحيث صبوا اليه مع انه لم يرد به
نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء
جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه
خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شانه فقعوا له ساجدين
فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا او القى خبر الخلافة بعد تحقق
الشرائط المعدودة بان قيل مثلا اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض
فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايدهم الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا فيه

ماشاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء بشان المامور به وتعيينا لوقته وقد حكي
بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر
والذي يحسم مادة الاشتباه ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الخ بدلا من قوله
تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم
والمراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الائمة وباختصامهم
ما جرى بينهم في شان خلافة آدم عليه السلام من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه من الانباء بالاسماء
ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به
من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس وما
تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام
بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس
قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بها قبله تعين انه بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله
سبحانه اعلم بحقيقة الحال ابى واستكبر استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
وانه لم يكن للتردد او للتأمل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار
طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه
وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على
ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين وكان من
الكافرين اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى
كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار
منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود لآدم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل لا
يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة
على ما قبلها وايثار الاول وعلى الثاني للدلالة على ان محض الاباء والاستكبار كفر لانهما سببان له لما
يفيده الفاء وقلنا يا آدم شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما
جرى بينه وبين الملائكة وابليس في الاقوال والافعال وقد ترك حكاية توبيخ ابليس وجوابه
ولعنه واستنظاره وانظاره احترازا عما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة
لا بتقدير اذ لان ذلك احتياج في وقتهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ ممتد واسع للقولين
وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر ونقض

الكلام

الكلام بالنداء في قوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به
وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن من السكنى
وهو اللبث والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن
ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس
وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها
آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه
الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها
ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقال الملائكة تجربة لعلمه عليه السلام من
هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال
لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال بعث الله جندا من الملائكة
وحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا
كما ترى يدل على خلقها قبل الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين
او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها
الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عليه السلام كان في الارض بلا خلاف
ولم يذكر في القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه اعظم النعم ولانها
لو كانت دار الخلود لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان
الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية
متعارضة فوجب التوقف وترك القطع وكلا منها اي من ثمارها او بما وجه الخطاب اليهما تعميما
للتشريف والترخيص ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور
به فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيها رغدا صفة للمصدر
المؤكد اي اكلا واسعا رافها حيث شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث
ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض
المواضع الجامعة للمأكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى ولا تقربا بفتح
الراء من قرب الشيء بالكسر يقربه بالفتح اذا التبست وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم
يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة
او نعت له بتأويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجر اي لا تأكلا منها وانما علق النهي بالقرب منها
مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة

من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتاء
تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء فتكونا من الظالمين مجزوم على انه معطوف على تقربا
او منصوب على انه جواب النهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي
الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم
او تعدوا حدود الله فازلهما الشيطان عنها اي اصدر زلتهما او ذلهما وحملهما على الزلة
بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وفي
ابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى
فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزائل عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على
شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عليه السلام لم يؤمر
بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلد من خلافة الارض الى حين
البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه
انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول
للوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه فاخرجهما
مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها
وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم وان
كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا الخطاب لادم وحوا لقوله تعالى قال اهبطا منها
جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد
ما كان يدخلها مسارقة او اهبط من السما وقرئ بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغني
فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استيناف لا محل لها من
الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم
في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما يتعلق به الخبر اعني لكم مستقر
اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين هو حين الموت
على ان المعنى تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على ان تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها
في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع واستينافا فتلقى ادم من ربه كلمات اي استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب ادم ورفع كلمات على انها استقبلته
وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى

جدك

جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب لم
تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على ان
التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه
عليه السلام للتشريف والايذان بعلية لالقاء الكلمات المدلول عليها بتلقيها فتاب عليه اي رجع عليه
بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المدلول عليها المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن
الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شان ادم عليه السلام لما
ان حوا تبع له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي
الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب و
الندم عليه والعزم واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية و
اذا وصف به الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة
وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل
لقوله تعالى فتاب عليه قلنا استيناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا
وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم
مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول
التوبة للعفو عن ذلك واظهار النوع رأفة به عليه السلام لما بين الامرين من الفرق البين
كيف لا والاول مشوب بضرب سخط حيث بين ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا
يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من
وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار
المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط
المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتأمل وقيل الاول من الجنة الى السما
الدنيا والثاني منها الى الارض لاستقرارهم في الارض ويأباه رجوع الضمير الى الجنة في الثاني
جميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي
الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا فاما
يأتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به واما مركبة من
ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله
بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته
النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر من غير مرة والمعنى

ان يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى
فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت
اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد
لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة
الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال او للجري على سنن العظماء في
ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداى منكم فلا خوف عليهم في
الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه
يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل
يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما
لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من
خصايص الخواص والمقربين والمراد بيان انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون
الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان دخول النفي على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتاكيد وجوب
اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية ومما ذكر من افاضة العقل
ونصب الادلة الآفاقية والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح
والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه واباه
عليه ما ذكر تعظيما لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار
بكثرة الكفرة والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة
لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الآيات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اى
الذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم • وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم • وقيل المعنى كفروا بالله
وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنانا و
كذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة
قال النابغة • توهمت آيات لها فعرفتها • لستة اعوام وذا العام سابع • ويقال للمصنوعات
من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها او قيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم
خرج بنو فلان بآيتهم اى بجماعتهم قال • خرجنا من النقبين لا حي مثلنا • بآيتنا نزجي اللقاح
المطافلا • واشتقاقها من اي لانها تبين آيا من اي او من اوى اليه اي رجع واصلها اوية

اوية

اوية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت او ايية كقابلة فحذفت
الهمزة تخفيفا اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب
وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل اصحاب النار اى ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة
خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى هم فيها خالدون في
حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتمالها على
ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك على رأي من جوز وقوع الجملة
خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام يا بني
اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واما بالنظر
لبني آدم قاطبة لقوله تعالى واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا
اباهم خليفة في الارض ومسجودا للملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من
البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب
عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل
بقلب الهمزة ياء واسرال بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة
بالذكر لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها
وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة
لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى
ما افاض عليهم من النعم حمله ذلك على الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم به على آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها
وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمي باسكان
الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف
بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى احد طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول
فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم
وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق
في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض
وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر
الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى واوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من

حمل الاثابة وتفصيل العهد من قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من
تحتها الانهار الخ وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتأكيد وإياي فارهبون فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض
العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد
والوعيد ودلالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا من الله تعالى وآمنوا بما انزلت
افراد للايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير
عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرار المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها
المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من جهة انه موافق
لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما
يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في
الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه للحكمة التي عليها يدور فلك
التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها
مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن
الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر
نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر
فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اي لا تسارعوا الى
الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيته بطريق التلقي مما معكم
من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع
ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوقع صدوره عنكم من كونكم اول كافر به [illegible] ونهيهم
عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر
كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه
فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله
أوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا
وادغمت ولا تشتروا بآياتي اي لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا هي الحظوظ الدنيوية وانها وان
جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة عامة
في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاختاروها على الا

وانما عبر

وانما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة
فيها وقرنت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث
جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا وإياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة
التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة المتناولة للفريقين و
اما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل
عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل با
لباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب
الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم
امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه
او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح ا
اللبس لما يصحبه من كتمان الحق الا ان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وانما لزيادة تقبيح
المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون
كاتمون او وانتم تعلمون ما تلبسون وتكتمون او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى
بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة
تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن
الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الاضبط بن قريع السعدي: لا تحقرن الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه
أتأمرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة
فيها للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول
جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله وبر [illegible] يأمرون سرا من
نصحوه باتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلوة التي كانت
تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا

يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على
المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما والمدار الانكار
والتوبيخ هي الجملة المعطوفة لا ما عطفت هي عليه **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت لهم وتقريع كقوله
تعالى وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التورية الناطقة بنعوته صلى الله تعالى عليه وسلم الامرة بالايمان
به او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول والعمل **افلا تعقلون**
اي اتتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعونه حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم
العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف او انتم ما تلونه فلا تعقلون فالانكار
متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه
العقال الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحركة سمي به النور الروحاني الذي
يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن و
الاية ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل
الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال
عليها بالتكميل لتقوم بالحق فيقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ فانه روي انه كان عالم
من العلماء موثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او
اثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال
وكانت تحترز عنه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع
من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت • اتهدي الانام ولا تهتدي
الا ان ذلك لا ينفع • فيا حجر الشحذ حتى متى • تسن الحديد ولا تقطع • فلما سمعه الواعظ
شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله سبحانه **واستعينوا**
بالصبر والصلوة متعلق بما قبله كانهم لما امروا بما يشق عليهم من ترك الرياسة والاعراض
عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصبر
الذي هو الصوم على المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء
فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه
الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان
ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب و
جبر المصائب • روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها**
اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واشتمالها على ضروب من

كما في قوله

كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة كقوله
تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة
والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم
لانهم يتوقعون ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون
ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلوة والسلام وقرة عيني في الصلوة و
الجملة حالية او اعتراض تذييلي **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون** اي يتوقعون لقاء
الله تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان
احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة و
الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة
فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية
للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان
اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال • فارسلته مستيقن الظن انه • مخالط ما بين الشراسيف
خائف • وجعل خبر ان في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم **يا**
بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتأكيد وليربط ما بعده من الوعيد الشديد
واني فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت اباءكم **على العالمين** اي عالمي
زمانهم بما منحتهم من العلم والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا
في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا **واتقوا يوما** اي حساب يوم او عذاب يوم **لا**
تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او على
من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اي لا تغني عنها فتعين النصب على المصدرية
وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف
اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول به ثم
حذف كما في قول من قال • فما ادري اغيرهم تناء • وطول العهد ام مال اصابوا • اي اصابوه **ولا**
يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمي به الفدية لانها تساوي المفدي وتجري مجراه **ولا هم ينصرون** اي يمنعون من عذاب الله عز
وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير
لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصر ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه

اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا اولا والاول
النصرة والثاني اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء عين ما كان عليه
وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة
لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة في الشفاعة وللاحاديث المروية فيها ويؤيده
ان الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من
ال فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء
اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابكم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل
لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون
لقب لملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق
منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه
وليد من بقايا عاد وقيل كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق
بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فراى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم فقال في نفسه
ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى
السوق فكل من لقيه من المساكين اخذ واحدة بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها
بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان
قد وقع بهم وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر
فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع
في مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب
منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك في هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون
فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد
الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من
المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياه فسار بهم
سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا
طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان و
فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم اي يبغونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه و
اقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم

والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما
فعلوا لما ان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم
من قضاء الله عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود او تسعين الفا وقد
اعطى الله عز وجل نفس عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو
كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء
او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء
نسائهم اي استبقائهن على الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال
في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه
محالا وكان يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان
يشار بذلك الى الجملة او ايراده بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى
بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وبتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم
صفة البلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء
والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر في المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان
لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف
ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله
تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ
بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم
الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعدما اريد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل
وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم
وقيل شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم
وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم
بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون
وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه
فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا
نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا
اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة

تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها
على ما هي عليه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية و
تنقاد لها النفوس من الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت اوائلهم بهتها
وروايتها فلا تذكرت اواخرهم بتذكيرها ودرايتها فيالها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما
ما اطغاها واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى
عليه السلام ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد
موسى عليه السلام بني اسرائيل وهو ان اهلك الله تعالى عدوهم اتيتهم بكتاب من عند الله
فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين
يوما وهو عشر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر
الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام
منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف ثم اتخذتم العجل بتسويل
السامري الها او معبودا وثم للتراخي الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف
المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم
او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من
عفاه درسه وقد لا يجيء لازما قال عرفت المنزل الخالي عفى من بعد الحوالي عفاه كل حنان
كثير الوصل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اي بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان
بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا
بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التورية الجامعة بين كونها كتابا
وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في
الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا
بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم
انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي الى من
خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات
مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء
كما برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها
ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا

من التفاوت

من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان
يسترد منه ذلك ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او بقطع
الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده يروى ان
الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها
فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعى موسى وهرون عليهما السلام فكشفت السحابة
ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم
اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية
والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات
من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون
ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء
لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره اذ فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى
بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا
لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام
لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا
وهو حكاية لوعد موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية
الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين لتلك النعمة انه هو التواب الرحيم
تعليل لما قبله الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا
موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعدم ما صدر عنهم من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ
العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التورية او
تكليمه اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اي عيانا وهي في الاصل
مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا
ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال
من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فتكون حالا من الفاعل
لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على
ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عليه السلام ان
يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع
عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام يأمره وينهاه وكان كلما كلمه الله تعالى وقع

على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع أحد من السبعين النظر إليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى
عليه السلام افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة
الأعراف إن شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه فأخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت في
طلب المستحيل فإنهم ظنوا أنه سبحانه وتعالى مما يشبه الأجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة
المقابلة في الجهات والأحياز ولا ريب في استحالته إنما الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات
بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر حيث تراهم كأنهم
وهم في جلابيب من أبدانهم قد نفضوها وتجردوا عنها إلى عالم القدس في بعض الأحوال في الدنيا
قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما
وليلة وعن وهب أنهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة أخذتهم الرعدة ورجفوا حتى
كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم وأشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه
السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت إليهم عقولهم ومشاعرهم
ولم يكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما أفاق وأنتم تنظرون أي ما أصابكم
بنفسه أو بآثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث به لما أنه قد يكون من
الإغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين لعلكم تشكرون أي نعمة البعث أو
ما كفرتموه لما رأيتم من بأس الله وظللنا عليكم الغمام أي جعلنا السحاب تلقي عليكم ظلها وذلك
أنه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم بالتيه يظلهم من الشمس وينزل عمود من نار يسيرون
في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وأنزلنا عليكم المن والسلوى أي الترنجبين وقيل كان ينزل
عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح
الرجل منه ما يكفيه كلوا على إرادة القول أي قائلين لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته
وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب
السابق للإيذان باقتضاء جنايات المخاطبين للإعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم
على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للإيجاز والإشعار بأنه أمر محقق غني عن التصريح به أي
فظلموا بأن كفروا تلك النعمة الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران إذ
لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر وإذ قلنا
تذكير لنعمة أخرى من جنابه تعالى وكفرتهم أخرى لأسلافهم أي واذكروا وقت قولنا لآبائكم إثر ما
أنقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند
الأخفش وهي بيت المقدس وقيل أريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا أي واسعا هنيئا ونصبه

على المصدرية

على المصدرية أو حال من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على أن المأمور به الدخول على وجه الإقامة و
السكنى فيؤول إلى ما في سورة الأعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب أي باب
القرية على ما روي من أنهم دخلوا أريحا في زمن موسى عليه السلام كما سيجيء في سورة المائدة أو باب
القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام سجدا
أي متطامنين مخبتين أو ساجدين لله شكرا على إخراجهم من التيه وقولوا حطة أي مسألتنا
أو أمرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الأصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو
على أنها مفعول قولوا أي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط رحالنا في هذه
القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول
وأصل خطايا خطائي كخضائع فعند سيبويه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف فاجتمعت
همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت الهمزة بين الألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت
الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة
الثواب للمحسن وأخرج عن صورة الجواب إلى الوعد إيذانا بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف
إذا فعله وأنه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا بما أمروا به من التوبة والاستغفار بأن أعرضوا
عنه وأوردوا مكانه قولا آخر مما لا خير فيه روي أنهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية
حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بأمر الله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا
وإنما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة
من كل وجه فأنزلنا أي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وإنما وضع الموصول موضع
الضمير العائد إلى الموصول الأول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بأنهم بما فعلوا قد
ظلموا أنفسهم بتعريضها لسخط الله رجزا من السماء أي عذابا مقدرا منها والتنوين
للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل وتعليل إنزال الرجز به بعد الإشعار بتعليله بظلمهم للإيذان بأن ذلك
فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وأن تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم
توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الأصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس
وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي أنه مات به في ساعة واحدة أربعة وعشرون
ألفا وإذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة أخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى
عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما أشير إليه مرارا من قصد إبراز كل من الأمور
المعدودة في معرض أمر مستقل واجب التذكير والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم أن

الكل ام واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اى استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روى
انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين يسيل كل عين فى جدول
الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم
عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه موسى عليه السلام مع العصا او كان
هو الحجر الذى فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل
عليه السلام ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر فى الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب
حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضربه
بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى
الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطيعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع
والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان يتقدان فى الظلمة
فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق
الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اى فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما
تعلق الفاء بمحذوف اى فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما
لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط
مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم
الله من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به الزرع والثمار ويأباه
ان المأمور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل
اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادى وانما لم يقل من رزقنا
كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة
موسى عليه السلام ولا تعثوا فى الارض العثى اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد
حال كونكم مفسدين وقيل انما قيد به لان العثى فى الاصل مطلق التعدى وان غلب فى
الفساد وقد يكون فى غير الفساد كما فى مقابلة الظالم المعتدى بفعله وقد يكون فيه
اصلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا
انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله
عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكى الى اخلافهم
وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا
بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه

التعرض

التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روى انهم كانوا فلاحة فنزعوا
الى عكرهم فاجمعوا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم
الى الشقاء فادع لنا ربك اى سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض
لعنوان الربوبية لتمهيد مبادى الاجابة يخرج لنا اى يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر مما
تنبت الارض اسناد مجازى باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتى فى قوله تعالى من بقلها
وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اى كائنا من بقلها الخ وقيل بدل
باعادة الجار والبقل ما ينبت الارض من الخضر والمراد به اطايبه التى تؤكل كالنعناع والكرفس
والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال
اى الله تعالى او موسى انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فما
ذا قال لهم فقيل قال أتستبدلون اى أتأخذون لانفسكم وتختارون الذى هو ادنى اى
اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول بعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها
مرذولا قليل القيمة واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف
والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة عليها بابدال الفها
بالهمزة بالذى هو خير اى بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتى الحاصل كما فى التبدل
والتبديل فى مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل
خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه
لتحقق الاستبدال فيما هو من قبيل المناولة اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم واسعافا
لمرامهم اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين
الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه
فى مصحف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه غير منون وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سألتم
تعليل للامر بالهبوط اى فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤولة بما للاستهجان
بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة
اى جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه والصقتا بهم جعلتا ضربة لازب
لا ينفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية
واليهود فى غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان تضاعف جزيتهم وباؤوا
اى رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الاضافية اى بغضب كائن من الله تعالى وصاروا احقاء به من قولهم باء

فلان بفلان اى حقيقة بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب والاصل
البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم
بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستمرار بآيات الله الباهرة التى هى المعجزة الساطعة على يدى موسى
عليه السلام فاعد وما لم يعد ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وذكريا ويحيى عليهم السلام
وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء عليهم السلام يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم
الحق اذ لم يكن احد معتقد بحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم ذلك حب الدنيا
واتباع الهوى والعلو فى العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اى جرهم العصيان والتمادى فى العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان
اذا دوم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحرى كبارها وقيل
كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى
واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى
المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر او تقدم كما فى قول رؤبة ابن العجاج • فيها خطوط من سواد
وبلق • كانه فى الجلد توليع البهق • اى كان ما ذكر والذى حسن ذلك فى المفردات والمبهمات
ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الذين ان الذين امنوا
بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون
عنوان النفاق والتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا يجديهم نفعا اصلا ولا
لا ينقذهم من ورطة قطعا والذين هادوا اى تهودوا من هاد اذا دخل فى اليهودية ويهود اما
عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم
توبة هايلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليهم السلام والنصارى
جمع نصران كندى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء فى نصرانى للمبالغة كما
فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران
فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصرى كمهرى
ومهارى والصابئين هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام
وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج من دين الى اخر
وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه
او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر اى من احدث من هذه الطوائف ايمانا
خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر

فلهم

فلهم بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اى مالك امرهم ومبلغهم اى كمالهم اللائق فمن اما
فى محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما فى قوله تعالى
ان الذين فتنوا المؤمنين الاية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما فى الصلة
باعتبار لفظه والجملة كما هى خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اى من امن منهم الخ واما فى محل النصب
على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم
من معنى الثبوت وفى اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم
متيقن الثبوت ومأمون من الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اى لا خوف عليهم
حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصر على تضييع العمر وتفويت الثواب
والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا
لما مر ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد
قيل المراد بالذين امنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من
تفسير من امن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك
بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عدا هم
من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين فى الايمان
ببيان تأخرهم فى الاتصاف به من غير محل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين فى استحقاق الاجر
وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل فى تفسيره من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا
بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو
الترغيب فى دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين اخر قبل انتساخه فلا ملابسة
بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته فى زمانه فى الجملة على ان المنافقين
والصابئين لا يتسنى فى حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين
وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس
لهم دين يجوز رعايته فى وقت من الاوقات ولو سلم ان كان لهم دين سماوى ثم خرجوا عنه فمن مضى
من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط
بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث
مجموع لا الى كل واحدة منها قصد الى درج الفريق المذكور ضرورة ان من كان من اهل الكتاب
عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى
وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين

مع اندراجهم في حيز اسم ان ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن على الحق المبين واذ
اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة
على ما في التورية ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال وقد رفعنا فوقكم الطور كانه
ظلة روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة
كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقطع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا
على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اى احفظوه ولا تنسوه
وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او لكي تنجوا من
هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم
توليتم اى اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد
فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يدعوكم
الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اى المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي
الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين
وهو الانسب بعبره وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها
امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند
سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده ولقد
لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اى لولا ثبت فضل الله عليكم
ولقد علمتم اى عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي انهم امروا بان يمحضوا يوم
السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عليه
السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا
كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا
حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم
الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيح جناياتهم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم
نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اى جامعين بين صورة القردة
والخسوء وهو الطرد والصغار على خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند
من يجوز عمل كان في الظروف والحال وقيل من ضمير المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين
وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل
الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل

وقرئ

وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اى المسخة والعقوبة نكالا
عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها و
ما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين
او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لما حواليها او لاجل
ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها
واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير جناية صدرت عن
اسلافهم اى واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان الله يأمركم ان
تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه
فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطلبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل
فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال ام لا فقيل قالوا أتتخذنا هزوا بضم الزاي وقلب الهمزة
واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اى تجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزء
نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به قال استيناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين لان الهزؤ في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما
توهموه من قبله على ابلغ وجه واكده باخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا
له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه بها قالوا استيناف كما مر كانه
قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا ادع لنا ربك اى لاجلنا يبين
لنا ما هي ما مبتدأ وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين لنا جواب هذا السؤال او
قد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب
ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة
والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان
حقه ان يستفهم باى لكنهم لما رأوا ما امروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس خرجوه
عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حاله قال اى موسى عليه السلام بعدما دعى ربه عز وجل
بالبيان واتاه بالوحي انه تعالى يقول اى البقرة المأمور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اى
لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اى اسنت من الفرض بمعنى القطع كأنها
قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اى
نصف لا ضخم ولا صرع قال طوال مثل اعناق الهوادي • نواعم بين ابكار وعون بين ذلك

اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة
الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة
المأمور به ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله امرتك الخير فافعل ما
ائتمرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى
مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة
ومع ذلك لم يدعوها وقوله تعالى قالوا استيناف كلام كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان
الشافي والامر المكرر فقيل هذا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المأمور
بها قال اى موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة
صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة الى الله تعالى لاظهار كمال المسارعة في اجابة
سؤلهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع
الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانى
وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل
صفراء شديد الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن رضي الله تعالى عنه سوداء
شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ولعل التعبير عن السواد بالصفرة
لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تسر الناظرين
كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه
السرور عن علي رضي الله تعالى عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استيناف كنظائره ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كانهم سألوا بيان حقيقتها بحيث
تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء
البيان ولذلك عللوا بقولهم ان البقر تشابه علينا بعنوان ان الاوصاف المعدودة يشترك
فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو المأمور ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت
ايذانا بان النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمأمور بها بل صادقة على سائر اصناف الجنس
وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح
التاء والادغام على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا بمعنى تتشبه ويتشبه بالتاء
ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها
في الجملة وانما بقي اشتباه بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا
بوجوه من التاكيد اي لمهتدون بما سألنا من البيان الى المأمور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا

لما بينت

لما بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اى لم تذلل للكراب و
سقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه
قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو
وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اى سلمها الله تعالى من العيوب واهلها من العمل واخلص لها لونها من سلم له كذا
اذا خلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها اى لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل
وشاة وشية وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا عند ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اى
بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين
الاولتين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه الرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها
جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها في المرة الاخيرة والا
فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت اى فحصلوا البقرة فذبحوها
وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير فذبحوا
اى فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلي ومآل استثقال استقصائهم
وانه لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما انتهى ضبط اسمائهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال
اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح
له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ و
شبت العجلة فكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء
مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم
انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال آخر الامر
وقع بذبح بقرة معينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة
بسبب تثاقلهم في الامتثال وغلوهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول
تمسكا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة الخ للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون
في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المأمور بذبحها فتكون هي المعينة
وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما
عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم
فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر هي المعينة والحق انها كانت في اول
الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت يحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل

بيان اللون وما يعقبه من كونها مسلمة الخ وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها
لكفتهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم رجوع الحكم الاول
منسوخا بالثانى والثانى بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية و
انتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك
لما عدت مراجعاتهم المحكية من الجنايات بل من قبيل العبادات فان الامتثال بالامر بدون الوقوف
على المامور مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا
منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واسناد القتل والتدارء اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتخصيصها
بالاسناد دون ما مر من هنا تتم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اى اذكروا وقت قتلكم
نفسا محترمة فادارءتم فيها اى تخاصمتم فى شانها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر ويدفعه
بان طرح كل واحد قتلها الى الآخر واصله تدارءتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة
الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل
للدلالة على الاستمرار واعمال مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارءتم
وما بينهما من اعتراض والالتفات لتربية المهابة للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل
او بتاويل الشخص والقتيل ببعضها اى ببعض البقرة اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل
بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذى يلى الغضروف
وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها
فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوها ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ و
تثنية التقريع فان كل واحد من قتل المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقية بان ينعى عليهم
بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منهما بما يخص بها من
التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله تعالى كالامر بالضرب
لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام والافتيات على رأيه كذلك يحيى الله الموتى
على ارادة القول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فضربوه فحيى قلنا كذلك الخ
فحذفت الفاء الفصيحة فى فحيى مع ما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك اى والخطاب
فى كذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهى الحكاية
عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اى مثل ذلك الاحياء العجيب يحيى الله

الموتى

الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات
هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحياة على عضو ميت
واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات لعلكم تعقلون اى لكى تكمل عقولكم
وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل
الحكمة فى اشتراط ما اشترط فى الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة
اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى
والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب
ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها
بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تاثير لها وان من رام ان يعرف اعدى
عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية
حين زال عنها شرة الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير
مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه
فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من
التدارء الخ استبعد لنبو قلوبهم عن التاثر بالخطاب والقوارع التى تميع منها الجبال
وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية
لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما الاول فلاستمرار
على شيء بعد ورود ما يقلع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد
مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما
ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اى من
بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف
الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتاويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطبين
كما هو المشهور فهى كالحجارة فى القساوة او اشد قسوة منها اى فى القسوة مثل الحجارة او زائدة
عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة واما ايراد الجملة اسمية مع مطابقة تعليله للدلالة
على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشابهتها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه
على بيان وجه الشبه فى قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة
حق له وانما لم يقل اقسى منها لما فى التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على

استلزام القسوة في الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى
من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي
اقسى من الحجارة وترك الضمير المفضل عليه لما من من الالتباس وان من الحجارة لما
يتفجر منه الانهار بيان لشدة قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة
صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة
وان منها لما يشقق اي يتشقق فيخرج منه الماء اي العيون وان منها لما يهبط من
خشية الله اي يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضية ما اودعه الله عز وجل فيها
من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها
فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم كذلك
فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم ان
لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم
وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او
مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال
السيئة وقرئ بالياء على الالتفات قوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له
عن اليهود اثر ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قوله اتضرب اباك لا
لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه
نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون على
تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب
الثاني على الاول مثبتا اي تنظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع وجوب
ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون وما
المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا لكم فانهم
متمادون في شرة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اخلافهم الا شر مما
اوتي من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار في ان يؤمنوا وهي مع ما في حيزها
في محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله
تعالى فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم ما فيه من المنة باذن الله تعالى وقد كان فريق
منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع

اي فريق كان منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة
للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على نهج قوله تعالى وهم
لكم عدو بعد قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنه هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى
حين كلم موسى عليه السلام فيما امره ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم
عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام
الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه
كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوه و
هؤلاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا
وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس ثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال سمعوا كلام
الله تعالى وعقلوا مراده تعالى فاولوه تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين
تولوا تحريف التوراة بعد ما حفظوها ووعوها وقيل هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع
والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على
عهده صلى الله تعالى عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التوراة وان كانت
كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر وان التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها
اكثر لا سيما رؤساؤهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان
الانسب ح ان يقال يتلون كتاب الله تعالى فالمعنى افتطمعون في ان يؤمنوا هؤلاء بواسطتكم
ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله
بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن ثم ههنا
ظهر ما في ايثار كلام الله من الفخامة والجلالة وقوله عز وعلا وهم يعلمون جملة حالية
من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان
ما عقلوه او على الخطأ في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له
او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما
صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنايع المؤيسة عن ايمانهم
من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من جملة الحالية والذي هو د
لما استقف على عصره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل بحر لاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء

حقيقة الذين امنوا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا اي اللاقون لا بطريق تصدي الكل
للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل
واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا الثابتين ثانيا المنافية من الدلالة على نفاقهم و
اختلاف احوالهم وتناقض رايهم من اسناد القول الى المباشرين بتقدير المضاف اي قال منافقو
امنا لم يصرح به على ذلك بل علموا بانهم يجدوا نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التورية وعلموا ان النبي
المبشر به وانما لم يقتصروا ايضا على شهادة التوبيخ الاتي واذا خلا بعضهم اي بعض المذكورين
وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين متصنفين الى بعض اخر منهم
وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما يشير
اليه انما اذا الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون
عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على
ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم
يعنون المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التورية من
نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق
لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب
في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم
به متعلق بالحديث دون الفتح والمراد تاكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك
ان كان منكرا في نفسه لكن التحديث لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم
بذلك ليحتجوا به عليكم فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحولوا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك
لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة
ارائهم عند ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند
ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم يحجوبون يومئذ حدثوا به
او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا في كتابكم في
الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا اخس فيجوز ان يكون الحذر وعندهم هذا الالزام بارجاع
الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده الا الكريمة
الاتية كما ستقف عليه باذن الله تعالى افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا
من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او انفعلون ذلك فلا تعقلون

بطلانه

بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل هذا او
اما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى
افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى اولا يعلمون فانه الخ يجيء لهم من
من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون ايراد خطاب المؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر و
لحائه على انه في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه ايضا للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف
على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا
يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي ما يسرونه فيما بينهم من المؤمنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم
في ذلك بطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فيظهر الله تعالى للمؤمنين
ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في
اية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم
هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به اولا لا بالتحديث به حتى يندفع
بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط وللموبخين اولا وباتهم المحرفين اي يفعلون ما يفعلون ولا
يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان
واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار
على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول
علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على
السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه
علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره
قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء
لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
فان الاصل في تعلق المحاسبة هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار
ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر
في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية
ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف
في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانها ليست من شئون
النساء بل من شئون الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في خلوه عن العلم والكتابة وقيل الى

الامة بمعنى انه باق على سداجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامى على عادة العامة وروى عن
عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب
ارتكبوها فصاروا اميين وعن على رضى الله تعالى عنه هم المجوس والحق الذى لا محيد عنه انهم
جهلة اليهود والجملة مستانفة مسوقة لبيان قبايحهم اثر بيان شنايع الطوايف السالفة
وقيل معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم
مادة الطمع عن ايمانهم كما فى مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب فى منافاة
الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين و
الاتفاق والنهى عن اظهار ما فى التورية كما وقع من الفريقين الاخيرين اى ومنهم طائفة
جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون الكتاب** اى لا يعرفون التورية ليطالعوها
ويتحققوا ما فى تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا او حمل الكتاب على الكتابة يأباه
سياق النظم وسباقه **الا امانى** بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية
افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كما فى قوله • تمنى كتاب الله اول ليلة • فاهلته لا
سيد وصب • ومعناها على الاول ما يقدره الانسان فى نفسه ويتمناه وعلى الثانى ما
يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب
اى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون امانى حسبما منتهم احبارهم من ان الله تعالى يعفو
عنهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى
الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه
من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الامانى على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من
ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وان هم الا يظنون** ما هم الا
قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فانى يرجى منهم
الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء فى تمسكهم بحبال الامانى واتباع
الظن عقب ببيان حال الذين اغووهم فى تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم لهم
وتعيين مرجع الكل بالاخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم **فويل** هو وامثاله من ويح وويس
وويب وويل وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها
البتة فانها اضيف نصب نحو ويلك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل
شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعى التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع فى
الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بمعنى

اوبينه

او بينه وبينها فرق وقيل ويل فى الدعاء عليه وويح وما بمعناه فى الترحم عليه وقال ابن عباس الويل العذ
وعن سفيان الثورى انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره
وقال سعيد بن المسيب انه واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره
وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج فى جهنم وحكى الزهراوى انه باب من ابواب جهنم و
على كل حال فهو مبتدأ وخبره قوله عز وعلا **للذين يكتبون الكتاب** اى المحرف او ما كتبوه من
التاويلات الزايغة **بايديهم** تاكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيمينى **ثم يقولون هذا** اى
جميعا على الاول وبخصوصه على الثانى **من عند الله** روى ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم
وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق اسافل اليهود
عن الايمان فعمدوا الى صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التورية وكانت هى فيها حسن الوجه اكحل العينين
ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك
قرؤا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته صلى الله تعالى عليه وسلم فيكذبونه وثم للتراخى الرتبى
فان نسبة المحرف والتاويل **ليشتروا به** اى ياخذوا لانفسهم بمقابلته **ثمنا** هو ما اخذوه
من الرشا بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتاويل وانما عبر عن المشترى الذى هو مق بالذات و
والوسيلة مقصودا بالذات **قليلا** لا يعبأ به فان ذلك وان جل فى نفسه فهو اقل قليل عند
ما استوجبوه من العذاب الخالد **فويل لهم** تكرير لما سبق للتاكيد وتصريح بتعليله بما قدمت
ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد بعضه فى حيز الصلة وبعضه فى معرض الغرض و
الغاية لايذان بترتبه عليه ومن فى قوله عز وجل **مما كتبت ايديهم** تعليلية متعلقة بويل او
بالاستقرار فى الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اى كتبته او مصدرية والاول
ادخل فى الزجر عن تعاطى المحرف والثانى فى الزجر عن التحريف **وويل لهم مما يكسبون** الكلام
فيه كالكلام فيما قبله والتكرير لما مر من التاكيد والتشديد والقصد الى التعليل لكل من
الجانبين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادى ترويج ما كتبت ايديهم
فهو داخل فى التعليل به **وقالوا** بيان لبعض اخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه
من الاكاذيب التى اختلقوها ولم يكتبوها **لن تمسنا النار الا اياما معدودة** قليلة
محصورة عدد ايام عبادة العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى
الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادة العجل سبعة وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى

الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود زعموا انهم وجدوا في التورية ان ما بين طرفي
جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة
فيكملونها قل تبكيتا لهم وتوبيخا اتخذتم باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج وباظهار الذال
وقرئ بادغامها فيها اي اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا بناء على
وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف
كما في قول من قال • قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا • ثم القفول فقد جئنا خراسانا • اي ان كان
الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم
الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر واولان المراد به جميع
عهوده لعمومه بالاضافة فيندرج فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون
كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد ام تقولون مفترين
على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما
اسندوه اليه من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير فان التوبيخ على الادنى
مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه
لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه سبحانه وام اما متصلة والاستفهام
للانكار التقريري المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل ام لم تتخذوه بل تقولون عليه
تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال
من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما يفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله
عز وعلا آلله اذن لكم ام على الله تفترون بلى جواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهته
تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار
كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه
عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر هين لا يتوقف وبلى حرف يجاب به مختص بجواب
النفي خبرا او استفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكبائر
كذاب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم
بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه وجوارحه الا وقد
اشتملت واستولت عليه خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه
الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن
ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع

وقيل

وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على
ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيئته وخطياته
على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدأ
اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ
عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيها
من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية
مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب
لما اسند اليهم في تينك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد
وصاحبية النار في حالة الاجتماع اي اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات و
احاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اي ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا
لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف
كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب
النار الخ لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما فيه من قصد الاشعار
بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين
كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكفار
ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد
بالوعيد مراعاة لما يقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى و
التبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من
قبائح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب
به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم
او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكروا اذ اخذنا ميثاقكم
لا تعبدون الا الله على ارادة القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار في معنى النهي
كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وابلغ من
صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فيخبر
به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب
ورفع الفعل كما في قوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي • ويعضده

قراءة قالا تعبدوا بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه
قيل وحلفناهم لا تعبدوا الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر
اى وتحسنون او احسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى
جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من
الحراك واثخنه عن التقلب وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ
كذلك وحسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق واد
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة هما فرض عليهم فى شريعتهم ثم توليتم الى جمرنا صب الظرف
خطاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين لهذا الالتفات الى خطاب بنى اسرائيل جميعا بتغليب
اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم
محكية داخلة فى حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت
هى عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا تعميم الخطاب
بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولى بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف
للتشديد فى التوبيخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه الا قليلا
جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل
الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب
بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعى عليهم اخلافهم بموجب الميثاق
والمأخوذ منهم فى حقوق العباد على طريقة النهى اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم
فى حقوق الله سبحانه وما يجرى مجراه على سبيل الامر فان المقصود الاصلى من النهى عن عبادة
غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم فى التورية
وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار فى معنى النهى
غير السبك اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهى الشديد عن تعرض بنى اسرائيل
لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دمائهم واخراجهم من ديارهم
بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا
فى الجملة او على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهى عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها
كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان
ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين
من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتى من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب

همنا

ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد
المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فيحتمل الوجهين فمفاد الاول كون المسفوك
دماء اولائك المخاطبين حقيقة ومفاد الثانى كونه دماء حقيقة للمخاطبين ادعاء فهم استقلا
بان فى افادة تقرير المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا اى فللمودى الى
قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما
يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة
التى هى داركم فان الجلاء الحقيقى مما لا يساعده النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف
عليه ثم اقررتم اى بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون توكيد للاقرار كقولك
اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل انتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم
بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد واستبعاد
قوى لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء
خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد
ذلك هؤلاء مشاهدون المناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الآتية فانه قوله
عز وجل تقتلون انفسكم الخ بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة
ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اى الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ
تقتلون بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير اما للمخاطبين والمضاف محذوف
اى من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين والا فلا تحقق
للتكافؤ بين المقتولين والمخرجين فى ذلك العنوان الذى يدور عليه فلك المبالغة فى تأكيد
الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم فى نقضه من ديارهم الضمير للفريق
وايثار الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر فى الميثاق
من توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هى ديارهم لا من حيث هى ديار المخرجين
وقيل هؤلاء موصول والجملتان فى حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون عليهم بحذف
احدى التائين من تتظاهرون ومعنى الكل يتعاونون وهى حال من فاعل يخرجون او من مفعوله
او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق
الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال.
من فاعله اى متلبسين بالاثم وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم وقيل ما ينفر
عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب والعدوان وهو التجاوز فى الظلم وان ياتوكم اسارى



جمع اسير وهو ما يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر اى الشد او جمع اسرى هو جمع
كرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحله النصب على الفاعلية الحالية تفادوهم اى تخرجوهم من الاسر
باعطاء الفدا وقرئ تفدوهم قال السدى ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل فى التورية ان لا يقتل بعضهم
بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد وامة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه
واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة
والشنان فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر
رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نخشى ان تذل حلفاؤنا فذمهم الله تعالى
على المناقضة وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام
الفاعل وقد وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان و
اخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع
الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيدا و مصدر وبيان والجملة حال من الضمير
فى تخرجون او من فريقا او منهما جميعا بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة
ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة فى امره بسبب قلة خطره
بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك
مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تداركه بشيء من دية او قصاص وهو السر فى تخصيص
التظاهر به فيما سبق واما تاخيره مع الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدى
فلان نظم افاعيلهم المتناقضة فى سمط واحد من الذكر ادخل فى اظهار بطلانها افتؤمنون ببعض
الكتاب اى التورية التى اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على
مقدر يستدعيه المقام اى تفعلون ذلك فتؤمنون ببعض وهو المفاداة وتكفرون
ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقى لكون الكل
من عند الله تعالى داخلا فى الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده
ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعى فى المقام الخطابى اصالة المقدم وتقدمه من وجه
من الوجوه حتما واذ ليس كذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع نقضا
لايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض
او بالعكس فما جزاء من يفعل ذلك ما نافية وان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب
وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان

بعض

ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم حال من فاعل يفعل الا خزى
استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزى الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل
بنى قريظة واجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحا من ارض الشام وقيل الجزية فى الحيوة الدنيا فى حيز
الرفع على انه صفة خزى اى خزى كائن فى الحيوة الدنيا او فى حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزى
ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب
واظهار انه لا اثر له مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالتاء او بصيغة الجمع نظرا الى معنى
من بعد او ثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم
اشد المعاصى وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم فى الدنيا من الخزى والصغار وانما غير سبك
النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافى بين جزائى
النشأتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه للتهويل والتفظيع وتفظيع الحال من اول الامر و
ما الله بغافل عما تعملون من القبائح التى من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو
تاكيد للوعيد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين
اشتروا اى اثروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالاخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان
ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض
المنافع الدينية الدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان او اخرويا ولاهم ينصرون بدفعه
عنهم بشفاعة او جبر والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون خبر
لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها ولقد اتينا موسى الكتاب شروع فى بعض
اخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن
عباس رضى الله تعالى عنه ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله موسى عليه السلام بحملها فلم يطق
بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها
وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اى ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا
رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل
والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام واتينا عيسى ابن مريم البينات
والمعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل
وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء
كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة ❊ قلت لزير لم تصله مريمه ❊ ضليل اهواء الصبا تندمه ❊ ووزنه
مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اى قويناه وقرئ بسكونها اى بالروح المقدسة وهى روح عيسى عليه

السلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه
السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما
قيل في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه
من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس
لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ
بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيقته
واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام افكلما جاءكم رسول من اولئك الرسل بما لا تهوى
انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه ولا تحبون من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان
بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهوائهم والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة
بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك وللتعجيب من شانهم
ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم
بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله ففريقا منهم كذبتم
من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب وفريقا
منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا
في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال
في القتل لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بالنبي
من جهته عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما زالت
اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق
الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض
عنهم حكاية لنظائرها الكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون
في عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم
يختن اي مغشية باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا
تفقه كقوله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما
روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين بمعنى ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا
من غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته
ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك
المعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم

العارض

العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكون نهجهم بحيث لا ينفعهم الالطاف
اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فاني
لهم ادعاء العلم هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم الله من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي
اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض
الكتاب وقيل فزمانا قليلا وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا
آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء للسببية للعن لعدم الايمان
ولما جاءهم كتاب هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اي كائنا
من عند الله للتشريف مصدق لما معهم من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات
الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من
كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد
كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر
الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا
يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى
يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة
كما في استعجب اي يسأل بعضهم من انفسهم الفتح عليهم اي يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم
وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا فلما جاءهم تكرير
للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب
لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون
الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا
محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية
وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى ولما كما هو رأي المبرد او جوابهما معا كما هو قول ابي البقاء
وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة
على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو
المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل
مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة
الله على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة

عليهم بسبب كفرهم كما ان الغائب للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا
اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو محقق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما
اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اي
بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروا هاهنا به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما
فعلوا اخلصوها من العقاب وياباه انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما
كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المنزل لما
معهم بعد الوقوف على حقيقته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شانه الموجب
للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما دون اشتروا لما فيه
من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله
ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا تعليما وهو معلل بما يأتي من تنزيل الله تعالى من
فضله على من يشاء وانما الذي بينه علاقة ما هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به
انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكامل لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء
اي يشاؤه ويصطفيه من عباده المستاهلين لتحمل اعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل
بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل هاهنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد
الانزال وتكثره حسب تكثره فباءوا بغضب على غضب اي رجعوا ملتبسين بغضب
كائن على غضب مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه
وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله
مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للاشعار
بعلية كفرهم لما حاق عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان
مبنيا على الحسد الذي هو الطمع المنزل عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل
عليه عليه الصلوة والسلام واذا قيل من جانب المؤمنين لهم اي لليهود وتقديم الجار والمجرور
وقدم في جملة لا سيما في لام التبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد بالامر
بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما
امنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ما
به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به التوراة وما
نزل على انبياء بني اسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم و
مرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياؤهم

بني اسرائيل

بني اسرائيل وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما من بغيهم و
حسدهم على نزوله على من ليس منهم لان مرادهم بالموصول وان كان هو التوراة وما حكمها خاصة
لكن يراد ما بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداهم ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد
بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل
ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الثاني
او تجريد الموصول عند الاضمار عما عرض له تعسف لا يخفى والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف
الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى
المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون
بما عداه وليس المراد مجرد بيان اقرارهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون
من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اي المعروف بالحقية الحقيق
بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة
صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل
مضمر اي حقه مصدقا لما معهم من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال
انه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به ومآله انهم ادعوا الايمان بالتوراة والحال انهم
يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها لما معهم قل تبكيتا لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقض بين
اقوالهم وافعالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء
الله الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريقة التغليب او من حيث كانوا مشاركين في العقد
والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية
وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون
انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض
لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من
الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك
لا يتأتى الا على رأي الكوفيين وابي زيد وقيل ان ما نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد
جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما حكي من تضاعيف
تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي وبالله لقد جاءكم موسى
ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان و
الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التوراة وليس بواضح فان المجيء بها بعد قصة العجل

ثم اتخذتم العجل اى الها من بعده اى من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية ح من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم اى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها او باخلال الحروف ايات الله تعالى وتكذيبها او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل الله عليهم بتذكير جنايا[ت]هم الناطقة بكذبهم اى واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى خذوا ما امرتم به في التورية واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استئناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزات الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانه قدح في دعويهم الايمان بما انزل عليهم من التورية وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين بما ذكر من القبائح العمل بما فيها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها عمل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط محذوف لدلالة ما سبق قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن اخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفي بالاشارة اليه في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الاخرة اى الجنة او نعيم الدار الاخرة عند الله خالصة اى سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس اى الناس كافة او للعهد اى المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار ولا سبيل اليها الا

كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه لا ابالي اسقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمني وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير الكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستأنف غير داخل تحت الامر مسبوق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم في دعويهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اى بهم ايثار الاظهار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير في قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه اى واحرص من الذين اشركوا وقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدا محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اى ومنهم طائفة يود احدهم اى كل واحد لو يعمر الف سنة وهو حكاية لودادهم كانه قيل ليتني اعمر وانما اجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي

وما هو بمزحزحه من العذاب ما بمباعده والضمير العائد الى احدهم اسمها وبمزحزحه
خبرها والبارز ان يعمر فاعل من مزحزحه اى وما احدهم بمزحزحه اى بمبعده وبنجيه من
العذاب تعميره وقيل الضمير ما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان
يعمر مفسره وقيل الجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد المعنى
او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنيه وقيل سنهة كجبهة لقولهم
سانهته وسنيهه وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون
البصير فى كلام العرب العالم بكنه الشئ الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اى
عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد
للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل فى عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال
هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفى بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو
الذى يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فبأى حق تقتلونه وقيل امر الله تعالى
ان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا وروى انه كان لعمر رضى الله تعالى عنه ارض باعلى المدينة
وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك
وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك فى دينى وانما ادخل عليكم
لازداد بصيرة فى امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وارى آثاره فى كتابكم ثم سألهم عن جبريل
عليه السلام فقالوا ذاك هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب
وميكائيل يجئ بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب
منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضى الله تعالى عنه ان
كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو
للآخر ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام
قد سبقه بالوحى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر رضى
الله تعالى عنه لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل كسلسبيل
وجبريل كجحمرش وجبرئيل وجبرال وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف
فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فانه نزله تعليل للجواب قائم مقامه والبارز

الاول

الاول لجبريل عليه السلام والثانى للقرآن واضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شأنه واستغنائه
عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شئ من صفاته على قلبك زيادة تقرير
للتنزيل ببيان محل الوحى فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على
التكلم المبنى على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما فى قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة لما فى النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة باذن
الله بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام
الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل
فى الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته
فانه نزل عليه كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب فى عداوته تنزيله الكتاب مصدقا لكتابهم
موافقا له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها
يوجب الايمان به وذلك يستدعى انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل الجواب فقد خلع ربقة
الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لى وانا عدو له
من كان عدوا لله اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او
عداوة خاصته ومقربيه لكون صدر الكلام بذكر الجليل تفخيما لشأنهم وايذانا بان عداوتهم
عداوة عز وعلا والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله
وجبريل وميكال وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملائكة والرسالة
لاظهار فضلهما عليهما السلام كأنهما من جنس آخر اشعارا بان ما ذكر تنزيلا للتغاير فى الوصف
منزلة التغاير فى الجنس للتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم
الباطل فى حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء
فى الكفر واستتباع العداوة من جهة الله تعالى وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله
تعالى فان الله عدو للكافرين اى لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه
اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر
للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته
تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل
كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئيل كميكعيل وميكئل كميكعل ولقد انزلنا اليك آيات
بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها الا الفاسقون
اى المتمردون فى الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ

على الكفر بمثلها من تلك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي
وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس انه قال ابن صوريا لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك لها فنزلت
واللام للعهد اى الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن
دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا **او كلما عاهدوا عهدا** الهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا
عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا وليس قولهم للمشركين قد اظل زمن نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه
قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان تقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين
فسقوا ونقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر
مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد **نبذه فريق**
منهم اى طرحوه بالذمام ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان
منهم من لم ينبذه **بل اكثرهم لا يؤمنون** اى بالتورية وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين
هم الاقلون وان من لم ينبذه جهارا فهم يؤمنون بها سرا **ولما جاءهم رسول** هو
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتفخيم **من عند الله** متعلق بجاء او بمحذوف
وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الاضافية
مصدق لما معهم من التورية من حيث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرر صحتها وحقق
حقيقة نبوة موسى عليه السلام بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلام جاء على وفق
ما نعت فيها **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب** اى التورية وهم اليهود الذين
كانوا في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا الذين كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين
كانوا في عهد سليمان عليه الصلوة والسلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله
تعالى او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد
لذكر اتباعهم لما تتلوا الشياطين وايثارهم له عليها والمراد بما اوتيها ان اريد به
ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم
واما مجرد انزالها فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع المضمر للايذان
بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ **كتاب الله**

اى الذى

اى الذى اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عارضوه بالتورية فاتفقت
التورية والفرقان فنبذوا التورية واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت فلم
يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله وانما عبر عنها بكتاب الله
تشريفا لها وتعظيما لحقها وتهويلا لما اجترؤا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن
نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك
قبول لهم وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء
به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب **وراء ظهورهم** مثل لتركهم واعراضهم
عنه بالكلية مثل لما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه **كانهم لا يعلمون**
جملة حالية اى نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فا
لمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الايقان وكما يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله تعالى
عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب
الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم
عما في التورية من دليل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم
المنفي من قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار
بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جيل اليهود اربع فرق فرقة
امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله
عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم
الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلوا**
الشياطين عطف على جواب لما اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت
تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع
التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجيء الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل
على اشربوا **على ملك سليمان** اى في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع
ويضمون اليه ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها
الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا
يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح
التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها

تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك شيئا
من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس
على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه السلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه
الاشياء **وما كفر سليمان** تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه
كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه
بذلك **ولكن الشياطين** وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية
على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا **كفروا**
باستعمال السحر وتدوينه **يعلمون الناس السحر** اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحال
من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في
محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار
للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستأنفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين
واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما استينافية فحسب واعلم ان السحر
انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها
هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون
الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم
عليه السلام لابطال مقالاتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة
الوجود لذاتها وهم الصابئية وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها
هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا
مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة من هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها
سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ روحه بالتصفية
في القوة والتأثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل
ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخييلات الآخذة
بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من
اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ
بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله تعالى عقيب ذلك على سبيل جري العادة
بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرسل
بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما يأتي ويذر وكان

من يستعين

من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة
ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان
شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة
الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث
والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجريها من اظهار الامور العجيبة
بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فا
طلاق السحر عليها بطريق التجوز لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف
مأخذه وخفي سببه او من الصرف على الجهة المعتادة لما في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الا
زهري عن الفراء ويونس **وما انزل على الملكين** عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما
والمراد به واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع اقوى منه او على ما تتلوا وما بينهما اعتراض
اي واتبعوا ما انزل اه وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت
بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس او لان السحرة كثرت في ذلك الزمان وا
ستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين
ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على
الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد من ذنوب بني ادم
عيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز
وجل ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا
من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا
الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين
الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب
الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا
الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امرأة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت لخمية وقيل
كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا
بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا
للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد اللتيا والتي ثم سألاها ما سألاها فقالت لا الا ان
تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى
السماء فمسخها الله تعالى كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما

فعلما اما حل بهما وكان في عهد ادريس عليه السلام فالتجا اليه ليشفع لهما ففعل
فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل
فهما يعذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط
الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من
المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد
اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده
قراءة الملكين بكسر اللام ببابل الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا
من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية
هاروت وماروت عطفا بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كا
من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن قرأ الملكين بكسر اللام قال كانا رجلين
صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسمان قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر
وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد من مزيدة في المفعول
لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لافادة نفي الاستغراق كما في قولك ما جاء
ني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والا
وافرادها لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس
الفتنة والقصر لبيان انهما ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس
عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل
التعليم فيقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد
حقيته كفر ومن توقى عن العمل به واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان
فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النفي ليست هذه المقالة فقط
بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكنه لم يذكر لظهوره وكون الكلام فيما
اعتنى الملكين بشان النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير
يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على
الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه
عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل ان نافية في
الجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي

لم ينزل على الملكين اباحة وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان
من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان
احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر مثلنا فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر
واضلال الناس مما لا يلايمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه
من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه فيتعلمون منهما
عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن اه والضمير
لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اي
بسببه وباستعماله بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء
بلا همزة وزوجه بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والنزاع والنشوز عند ما فعلوا
من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الا
سباب العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يتعلمون
به ليرى له الناس ويعتقد انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم وما هم بضارين به
مما يتعلمون ويستعملون من السحر من احد اي احدا ومن مزيدة لما في قوله تعالى وما يعلمان
من احد والمعهود وان كان من زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حملت الاسمية في ذلك
على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل
من التاثير بالذات وانما هو بامر الله تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من
افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير
ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفي او الضمير المجرور في به اي وما
يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزأ
من المجرور والفصل ما بين المتضايفين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجري الى العمل غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا بانه ليس من
الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به
التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس عنه
حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة
التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا اي اليهود الذين حكيت
جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله عز

وجعل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق به علموا من العمل
من موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى ما له في الآخرة من خلاق
اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع
حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الآخرة وهذه الجملة في
محل الرفع على انه خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا
ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد
علموا اه مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه اه هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب
سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية
مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط
محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا
فيكون الجملتان مقسما عليهما ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها واللام جواب
قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي ووالله لبئسما باعوا به انفسهم السحر والكفر
وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها
بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المبتغى
وهو ما تتلوا الشياطين لان متعلق الذم هو المأخوذ لا المبذول كما اشير اليه في تفسير
قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اي يعلمون
بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او كانوا يتفكرون فيه او يعلمونه
فتحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على التوكيد
القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح العقل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب
لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم آمنوا اي بالرسول المومى اليه في قوله تعالى ولما
آمنوا او لما جاءهم رسول من عند الله اه او بما انزل اليه من الآيات المذكورة في قوله تعالى
ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتوراة التي اريد بقوله
تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول
عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب لو
واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به فحذف الفعل وغير السبك الى ما
عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا
للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة

لمثوبة اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي
لاثيبوا وما بعده جملة مستأنفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام
العرب وقيل لو للتمني ومعناه انه من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم
تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا
يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا
خطاب للمؤمنين وفيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود
لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير امره وتدارك
مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا
من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامه
ونحفظه وكانت اليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي
راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه
ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعنون به تلك
المسبة او نسبته عليه الصلوة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان
سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا السنتم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون عن
ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا
اي انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة
اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اي
قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب بالرعن اتصف
به واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويلقي عليكم من
المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة
او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا
سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا
وللكافرين اي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون
برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترءوا عليه من العظيمة
وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم وتوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود

الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة
ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله
من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الاية بالخير
فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل
الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير
فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى من اهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما في قوله عز
وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما ستعرفه ان ينزل عليكم
في حيز النصب على انه مفعول ليود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح بالاول
في قوله تعالى من خير هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره
ظاهرا لكنه منسحب عليه بمعنى والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل
يأباه وصفه فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال
العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان
الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست
كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعرضهم بذلك لسعادة الدارين
كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة ما نزل عليهم الخير من حيث وقوع ذلك التنزيل على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن
الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم
ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء
الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما
منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك
قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما
في اثناء ذكر قبائحهم به لم يلزم من نفي ودادهم لما ذكر نفي وداد المشركين له قرن بهم كلمة لا
لتأكيد النفي والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه
على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة
ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي
رضي الله تعالى عنه بنبوته خص بها محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الا

الافتعال

فتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسباق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله
من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله تعالى عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم
الفارغة والباء داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة
عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا لا يتعداه الى غيره وقيل الفعل
لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى والله ذو
الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله
العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة
فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان
بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فان الاضمار في الثانية مبني عن توقفها
على الاول ما ننسخ من اية او ننسها كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو
فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد
كلام الكارهين له راسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل
يقال نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد
بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما
شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اي نأمرك
او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النسء اي نؤخرها وننسأها
بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب صلى الله تعالى عليه وسلم للفاعل وللمفعول و
قرئ ما ننسخ من اية او ننسكها وقرئ ما ننسك من اية او ننسخها والمعنى كل اية نذهب
بها على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او
الى غير بدل نأت بخير منها اي نوح اليك ما هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب
من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير
مختص بنفي الاية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب
والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الايات التي عليها يدور فلك الشرعية
انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال
ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة
في حال تقتضي في حال اخر تقتضيه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من

النظام ألم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه أليس الله بكاف عبده وقوله تعالى ألم
نشرح لك صدرك والخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى أن الله على كل شيء
قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الأول والثاني محذوف عند
الأخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ و
على الإتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لأن ذلك من جملة الأشياء المقهورة
تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء علم قدرته على ذلك
قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والإشعار بمناط
الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه
ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض فإن عنوان الألوهية مدار أحكام ملكوتهما
والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ والجملة خبر لأن وإيثاره على
أن يقال أن لله ملك السموات والقصد إلى تقوي الحكم بتكرير الإسناد وهو إما تكرير للتقرير
وإعادة الاستشهاد على ما ذكر وإنما لم يعطف أن مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها روما
لزيادة التأكيد وإشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو الحق
وإما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الأشياء أي ألم تعلم أن الله له
السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي
فيهما إيجادا وإعداما وأمرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لأمره ولا معقب
لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الأشياء وقوله تعالى وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير عطف على الجملة الواقعة خبرا لأن داخل معها تحت تعلق العلم
المقرر وفيه إشارة إلى تناول الخطاب للأمة أيضا وإنما إفراده عليه السلام بها
لما أن علومهم مستندة إلى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع إلى
اسم أن لتربية المهابة والإيذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد
بما تعلق به من العلم على تعلق إرادته تعالى بما ذكر من الإتيان بما هو خير من المنسوخ أو بمثله
فإن مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وإنما الذي يستدعيه كونه تعالى
مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم أنه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا أنه
لا يفعل به إلا ما هو خير له فيفوض أمره إليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في أمر النسخ وغيره أصلا
والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا من
المنصور وما إما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من

للاستغراق

للاستغراق وإما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجوز تقديمه واسمها من ولي ومن
من دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لأنه في الأصل صفة له
فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى أن قضية العلم بما ذكر من الأمور الثلاثة
هو الجزم والإيقان بأنه تعالى لا يفعل بهم في أمر من أمور دينهم أو دنياهم إلا ما هو خير لهم
والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه من غير إصغاء إلى أقاويل
الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في أمر النسخ أم تريدون تجريد للخطاب
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وأم منقطعة ومعنى بل فيها
الإضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل
المساهلة منهم في ذلك وأمارات التأثر من أقاويل الكفرة إلى التحذير من ذلك ومعنى
الهمزة إنكار وقوع الإرادة منهم واستبعاده لما أن قضية الإيمان وازعة عنها وتوجيه
الإنكار إلى الإرادة ومتعلقها للمبالغة في إنكاره ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل إرادته
فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل أتريدون أن تسألوا وأنتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك
الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في أموركم بفضل الله تعالى
حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان
تفاصيل الحكم الداعية إلى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين أن يجعل لهم
ذات أنواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب
وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية
أي سؤالا مشبها بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا إلها وأرنا الله
جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر أن يقال كما سألوا موسى لأن المشبه هو المصدر من المبني
للفاعل أعني سائلية المخاطبين لأن المبني للمفعول أعني مسئولية الرسول عليه السلام
حتى تشبه بمسئولية موسى عليه السلام فلعله أريد التشبيه بهما معا ولكنه أوجز
النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسئولية واكتفى بما ذكر في
كل موضع عما ترك في الموضع الآخر في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا
هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز أن يكون ما موصولة على أن العائد محذوف
أي كالسؤال الذي سأله موسى عليه السلام وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به
للتأكيد وقرئ بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر أي يختره و
يأخذه لنفسه بالإيمان بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من أبدل وكان مقتضى الظاهر

ان يقال ومن يفعل ذلك اى السؤال المذكور او ارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة
المنزلة بحسب المصالح التى من جملتها الايات الناسخة التى هى خير محض وحق بحت واقترح
غيرها فقد ضل سواء السبيل اى عدل وجار من حيث لا يدرى عن الطريق المستقيم
الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه فى تيه الهوى وتردى فى مهاوى الردى وانما اوثر على
ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح
غنى عن الاخبار بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما
للشرطية روما للمبالغة فى الزجر والافراط فى الردع وسواء السبيل من باب اضافة الصفة
الى الموصوف لقصد المبالغة فى بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج
الصورة فى الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم
كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او فاضافة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم على القولين باعتبار انهم من امة المدعوة
وبمعنى تبدل الكفر بالايمان وهو بمعزل من الايمان شرعا صرف قدرتهم الى ما يمكنهم
من ذلك وايثارهم للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روى
ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق
ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال
عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة رضى الله تعالى عنه
اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة
قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما
خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو فى معنى التمنى وصيغة الغيبة
كما فى قوله حلف ليفعلن وقيل بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك
منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هى على حقيقتها
وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم
وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين معنى الرد التصيير اى يصيرونكم كفارا كما فى قوله
رمى الحدثان نسوة آل سعد ● بمقدار سمدن له سمودا ● فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا ● وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة

صريحا

صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة ضرورة كون
المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيط بين المفعولين
لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغايته بعده من الوقوع اما لزيادة قبح الصادر عن العاقل
عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه تثبيت للمؤمنين كما لا يخفى
حسدا علة لود او حال اريد به نعت الجمع اى حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير
بخيره من عند انفسهم متعلق بود اى ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظها لا من قبل
التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اى حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا
اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا فى التوراة من الدلائل
وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون فى الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة
والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب حتى يأتى الله بامره الذى هو قتل بنى قريظة
واجلاء بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن فى القتال وعن ابن عباس انه
منسوخ باية السيف ولا يقدح فى ذلك ضرب الغاية لانها لا يعلم الا شرعا ولا يخرج
الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله على كل
شىء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية
والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة او غير ذلك اى اى شىء من الخيرات
تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اى تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ان
الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين
وقالوا عطف على ودوا والضمير لاهل الكتابين لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
اى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان
نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا
هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم بأو لتعلق من اقام اليهودية والنصرانية قبل
النسخ والتحريف على وجههما بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين
وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعود جمع عائد وبزل جمع بازل والافراد فى كان
باعتبار لفظ من والجمع فى خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا ● تلك
امانيهم الامانى جمع امنية وهى ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة
لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه



حذف مضاف الى امثال تلك الامنية اماينهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل
على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويردوه فقوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب وقيل هاتوا اصله
اوتوا قلبت الهمزة هاء اى احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
فى دعويكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذى يستدعيه الحجاز التنزيل
ان يحمل الامر التبكيتى على طلب البرهان على اصل الدخول الذى يتضمنه دعوى الاختصاص
فان قوله تعالى بلى الخ اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفى ما اثبتوه واذ ليس الثابت
به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفى مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل
الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفى
اصل دخولهم ومن ضروريته ان يكون هو الذى كلفوا اقامة البرهان لا اختصاصهم
ليتحد مورد الاثبات والنفى وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك
نهاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم
من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول
وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته
فهم من الاختصاص وعن اثباته اعجز وانما الفائز به من انتظمه قوله تعالى من اسلم وجهه لله
اى اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع
المشاعر وموضع السجود ومظهر اثار الخضوع الذى هو من اخص خصائص الاخلاص
او توجهه وقصده بحيث لا يلوى عزيمته الى شيء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم
اى والحال انه محسن فى جميع اعماله التى من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان
الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوضعى التابع لحسنه الذاتى وقد فسره
صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ان تعبد الله تعالى كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله
اجره الذى وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا
واياما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه
وقوله تعالى عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار فى الظرف والعندية
للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد
اللطف به وتقرير مضمون الجملة اى فله اجره عنده ملكه ومدبر اموره ومبلغه الى
كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها

المشروط

معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر
اى بلى من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان متعلق بثبوت الاجر
بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين من
دخول الجنة بمعزل وبمنأى الاختصاص به بالف منزل ولا خوف عليهم فى الدارين من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم
لا يخافون ولا يحزنون والجمع فى الضمائر الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضمائر
الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء بيان لتضليل كل فريق
صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم
فقالوا لهم لستم على شيء اى امر يعتد به من الدين او على امر ما اصلا مبالغة فى ذلك كما
قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على
شيء على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتورية لا انهم قالوا ذلك بناء للامر على منسوخية
التورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اى قالوا والحال ان كل فريق منهم من
اهل العلم والكتاب اى كان حق كل فريق منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان
كتب الله تعالى متصادقة كذلك اى مثل ذلك الذى سمعت به والكاف فى محل النصب اما على انها
نعت لمصدر محذوف وقدم على عامله لافادة القصر اى قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا
مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اى قالوا لاهل
كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال من المصدر المعرف الدال عليه قال اى قال القول الذين
لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذى سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما
مفعول للفعل المنفى قبله اى مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى
وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم اصلا فالله
يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى اذ اوقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما
قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به
من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون
قدم عليه للمحافظة على رؤس الاى لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد
لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لا
نكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم

من فلان اولا اظلم من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل
وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك فى اى مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة
معينة فى مسجد مخصوص روى ان النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى
ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا
وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان ططيوس الرومى ملك النصارى
واصحابه غزوا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية
وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه
المسلمون فى عهد عمر رضى الله تعالى عنه وانما وقع المنع على المساجد وان كان الممنوع
هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس
مع كونه على حاله وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى
اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما قدمها من جهة ان المشركين من
جملة الجهلة القائلين لكل ما هداهم ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى
منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا
ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون
مفعولا له اى كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها بالهدم والتعطيل
الذكر اولئك المانعون الظالمون الساعون فى خرابها ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا على خشية وخضوع فضلا
عن الاجتراء على تخريبها وتعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب
وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا عن ان يستولوا
عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها او ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضائه بالاخرة الا
ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاصها استولوا عليه منهم وقد
انجز الوعد ولله الحمد روى انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا
متنكرا مسارقة وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف
الائمة فى ذلك فجوزه ابو حنيفة مطلقا ومنع الشافعى من المسجد الحرام ومنع
لهم اى لاولئك المذكورين فى الدنيا خزى اى خزى فظيع لا يوصف بالقتل و
السبى والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم فى الاخرة عذاب عظيم وهو عذاب

النار

النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وتقديم الظرف فى الموضعين
للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزى والعذاب لما مر من ان تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه
النفس اليه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كما فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اى له كل الارض التى هى عبارة عن
ناحيتى المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته
مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة فى المسجد الاقصى والمسجد الحرام فاينما
تولوا اى ففى اى مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ان الله واسع عليم
بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضى الله تعالى
عنه نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهوا وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا
الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه
التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون فى جهة وقالوا اتخذ
الله ولدا حكاية لطرف اخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها
من قوله تعالى وقالت الخ لا على صلة ما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود و
النصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف نزلت
حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات
الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول
الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه له تعالى عما قالوا وسبحان علم
للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية فلا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه
اى انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح
الذى هو الذهاب والابعاد فى الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول
من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة
فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر
كغفران بمعنى التنزه اى تنزه بذاته تنزها حقيقا به ففيه مبالغة من حيث اسناد
البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد تنزهه تعالى عما لا يليق به لا
اثباتها له تعالى وقوله بل له ما فى السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه
وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى
لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه الى اتخاذه ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان

والفناء لا يوجب ذلك الاحرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالاخرة مستغنية
بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس كما زعموا بل هو خالق جميع
الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه
اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصي شيء منهم
على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشيء ومن
حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشانهم
وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعض منهم بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما
بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص
عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كما ابتدعه كما ذكر في
القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسموع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل
هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم
الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق
وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل
بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن
الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو البديع الخ وقرئ
بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير في له على رأي من يجوز الابدال من الضمير
المجرور كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى امرا اي اراد شيئا كقوله تعالى انما
امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشيء
لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ فانما يقول له كن فيكون
كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث والمراد حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل
لسهولة تاتي المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو
علم في الباب من طاعة المأمور المطيع للامر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح
لحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من يفتقر في تحصيل مراده الى مبادئ
يستدعي ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين
لا يعلمون حكاية لنوع من قبائحهم وقدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم في شان
التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس

رضي

رضي الله تعالى عنه هم اليهود وقال مجاهد النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم
بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم عملهم بموجب علمهم او لان ما يحكى عنهم لا يصدر
عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركو العرب لقوله
تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لولا يكلمنا
الله اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا على
نبوتك او تأتينا اية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا
نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة
الى حيث لم يعدوا ما اتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الايات قاتلهم
الله انى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد قال
الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة
وقالوا لن نصبر على طعام واحد الاية وقالوا هل يستطيع ربك وقالوا اجعل لنا الها
تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم
الباطلة قد بينا الايات اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اي يطلبون
اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريب وهذا رد لطلبهم الاية وفي
تعريف الايات وجمعها وايراد البينات المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي
طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا اية فذة ونحن قد بينا الايات العظام لقوم
يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه ظاهر البطلان
بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اي ملتبسا بالقران كما في
قوله تعالى احق هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى
اي ارسلناك ملتبسا بالقران حال كونك بشيرا لمن امن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر و
ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب
ليهتدوا ولا نفسهم ما اجبرنا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسئل
عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل
وقرئ لا تسأل على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها
لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله
على نهي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم

والجحيم المتاجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما
وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم ولا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لشدة شكيمة هاتين الطائفتين
خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا
النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظائم
اشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اى لا ترضى عنك
اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم
حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه عليه
السلام مما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم عليه السلام
وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن ترضى عنك وان بالغت في طلب رضانا
حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل يدل على خلافه فان قوله عز
وجل قل ان هدى الله هو الهدى صريح في ان ما وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك
العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوى الى اليهودية والنصرانية
وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا واى قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام والهدى بالحق الذي
يحق يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه
ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اى اراءهم
الزائفة الصادرة عنهم لقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما
قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى من الشريعة على لسان
الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اى
الوحي والدين المعلوم صحته ما لك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك
عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط
بينهما حرف النفي للتاكيد وهذا من باب التهييج والالهاب والا فلا يتوهم امكان
اتباعه عليه السلام الذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في
معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقدر له

اولئك

اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اى بكتابهم دون المحرفين
فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف
والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التورية وذكر النعمة انما
يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملتها نعت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عليه السلام واني فضلتكم على
العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السابقة
لانافتها فيما بين فنون النظم واتقوا يوما لا تجزى في ذلك اليوم نفس من النفوس
عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اى
فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير و
اعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود
من القصة ما انعم الله عز وجل عليهم واعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام وان
ما عليه اهل الكتابين اهواء زائفة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام من
التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر
عن ابراهيم عليه السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد وبطلان
الشرك وبصحة النبي عليه السلام وبكونه ذلك النبي استدعاه ابراهيم عليه السلام
واسمعيل عليه السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على
المفعولية بمضمر مقدر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين اى واذكر
لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد
الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء قوله تعالى
واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر
اى واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل على ما يجيء من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق
بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو

اسرائيل ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته عن ابراهيم وابنائه عليهم السلام
من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار
اى تطلب الخبر بحال المختبر بتعريضه لشيء يشق عليه غالباً فعله او تركه وذلك انما يتصور
حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا
مجازاً من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يترتب عليه شيئاً هو من
مباديه العادية لمن يختبر عبده ليعلم حاله من الكياسة فيأمره بما يليق بحاله من
المصالحة وابراهيم اعجمي قال السهيلي كثيراً ما يقع الاتفاق والتقارب بين السرياني
والعربي الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة
كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغاراً الى يوم القيمة على ما روى البخاري
في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم راى في الروضة ابراهيم عليه السلام
وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره لعنوان الربوبية
تشريف له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر
خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي لتظهر بحسن
قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة
وهذه المعاملة وتذكيرها لارشادهم الى طريق الاتقان الامور ببنائها على التجربة
والايذان بان بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة
بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها
دعوة ابراهيم عليه السلام كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي الآيات التي
بعد ورد بانه يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه وهي سنة في شرعنا خمسة
في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك
وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء
بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن
واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه
كله الا ابراهيم عليه السلام ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الاسلام
عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
الخ وعشر في المؤمنين وفي سأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم

يحافظون

يحافظون وقيل ابتلاه الله تعالى بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجم والختان على الكبر
والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هن محاجته قومه والصلوة والزكوة و
الصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك كالطواف والسعي والرمي والاحرام
والتعريف وغيرهن وقيل هو قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الى الآيات ثم
قال انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظ وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي
واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه
اى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن او لا فاتمهن اى قام بهن حق
القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى
وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله ما سأله من غير نقص ويعضده ما روى عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل آية وقوله عز وجل قال انى
تقديره انتصاب اذ بمضمر جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من هذا
الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى ماد وداعي الاحسان
اليه فبعد حكايتهما يترقب النفس لما وقع بعدهما كانه قيل فماذا بعد ذلك فقيل
قال انى جاعلك للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على رأى من جعل الكلمات عبارة
عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب
اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المحكى داخلة
على قال وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما
واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعله البتة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اى لاجل الناس او بمحذوف
وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام من يؤتم به وكل نبي امام
لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته
مأموراً باتباع ملته قال استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال
ابراهيم عليه السلام عند ذلك فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية
متعلقة بجاعل اى وجاعل بعض ذريتي كما تقول سأكرمك وزيداً او بمحذوف اى واجعل
فريقاً من ذريتي اماماً وتخصيص بعض ذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان
كانوا على الحق وقيل النقص وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة
من ذروت او ذريت والاصل ذرورة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة

واصلية نقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمع واو وياء وسبقت احديهما بالسكون
فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعلية منهما والاصل في الاولى
ذريوة قلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احديهما بالسكون فصارت ذرية كالثانية
وادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعلية من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة
فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعلية من
الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسرى
وتقضى وتظنى فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة
ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرئ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا
لغة فيها قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال عهدي
الظالمين ليس هذا رد لدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه
تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع في مستدعاه
عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص
على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس
بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على تعيين
الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المقتدون
بالائمة من الامة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه
الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها
وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته كاسمعيل واسحق ويعقوب
ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى
ومحمد صلى الله تعالى عليهم اجمعين ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة
ابراهيم عليه السلام تنال كلا منهم في وقت قدره الله تعالى وقرئ الظالمون على ان
عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة
الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة
وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف
على اذ ابتلى على ان العامل هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول
والجعل اما بمعنى التصيير وقوله تعالى مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا
عنه وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعول الثاني واما بمعنى الابداع

فهو

فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى للناس متعلق بمحذوف وقع صفة لمثابة كائنة للناس
او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين وامنا اي امنا
كما في قوله تعالى حرما امنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي
ذا امن او على الاسناد المجازي اي امنا من حجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او
من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأي ابي حنيفة ويجوز
ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد
فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل
الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا
او حال من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذي
يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ
وقيل هي جملة مستأنفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام ولامته والاول هو الاليق
بجزالة النظم الكريم والامر صريحا كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية و
المقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه عليه السلام والموضع الذي كان عليه حين قام
ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمصلى بالمصلى اما موضع
الصلوة او موضع الدعاء روي انه صلى الله تعالى اخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه فقال هذا
مقام ابراهيم فقال عمر رضي الله تعالى عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه
عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي
رضي الله تعالى عنه في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة
والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة
الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان
ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اي امرناهما امرا مؤكدا ان
طهرا بيتي بان طهراه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا والجواز كون صلتها
امرا ونهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما
هو دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي
انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول
الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي

صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية
على معنى الماضي والاستقبال او ان ظاهره على ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول
واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير هاهنا اليهما عليهما
لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما
يفصح عنه قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام بمعزل من مثابة
الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده
اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الحائض وما
لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين
في الصلوة كما في قوله عز وعلا للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد
اى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب
الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلاصه هؤلاء لئلا يغشا
غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم به وان كانت مع مقارنته امر مباح من قبيل تلويثه
وتدنيسه واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او
بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا آمنا اى ذا امن كعيشة راضية او آمنا اهله كليلة
نائمة اى اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما
روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل
عليه السلام وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من
تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم فقالت
اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كذا اقبل على الوادي فقال ربنا
اني اسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابراهيم ان حمل على تعدد
السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا البلدية ومجرد
الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود اذ كان هو
المسؤول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على
سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلي ولان المعتاد في البلدية الاستمرار
بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر
فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكى ذلك هاهنا واقتصر هناك على حكاية سؤال
الامن اكتفاء عن سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سيأتي

تفصيله

تفصيله هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب
منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه
يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روى عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام
بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى
الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام من آمن منهم بالله واليوم
الآخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره و
اهتماما بشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر
كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استيناف مبني على
السؤال كما مر مرارا قوله ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره وارزق من
آمن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله
فامتعه خبره اى فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن
سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو
عطف على من آمن عطف تلقين كانه قيل وارزق اهله ومن كفر فانه ايضا مجاب كانه
عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر
بخلاف الامامة الخاصة وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا
ثم اضطره الى عذاب النار الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم
وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر على
انهما من دعاء ابراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة
وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق
من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر
حروف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم
شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف
اى بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت عطف
على ما قبله من قوله تعالى واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين في واذ
جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
العجيبة المنبئة على المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة

من المفعول بمعنى المبنات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعد لك الله ورفعها البناء لانه
ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بنى
عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا نمت وارتفعت وقيل المراد بها ساقات البناء
فان كل ساق قاعدة لما يبنى عليه ويرفعها بناء بعضها وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت
واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شانها ما لا
يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطا بجعل هيئة القاعد المتوطا
مرتفعة عالية بالبناء روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له
بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي
فتوجه ادم عليه السلام من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك
يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند
الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله تعالى ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو
البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره الله تعالى ببنائه و
عرفه جبريل عليه السلام مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام
حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى على قدر البيت وسار ابراهيم عليه السلام في ظلها
الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها ولا تزد ولا تنقص
وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان وجودي واسسه من حراء
وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه و
قد خبئ فيه من ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض
في الجاهلية اسود وقال الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل
من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام
ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق
ادم عليه السلام ومنها بناء ادم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعث الله عز وجل
جبريل عليه السلام الى ادم عليه السلام فقال له ولحوا ابنيا لي بيتا فخط جبريل عليه السلام
وجعل ادم يحفر وحوا تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا ادم
فلما بنياه اوحي اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكره
الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني ادم عنده ما رفعت الخيمة

التي

التي عزى الله بها ادم عليه السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من
الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان نسفه الغرق عهد نوح عليه السلام
ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه
في القران مشهود فيما بين صادر ووارد ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكره الازرقي
بسنده الى علي بن ابي طالب ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن ابي بكار في كتاب النسب
ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه ومنها
بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي
ان بناءها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى و
الله سبحانه وتعالى اعلم واسمعيل عطف على ابراهيم ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان
الاصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له وقيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل
كانا يبنيان من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال
منهما عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير و
يقولا ربنا تقبل منا اي يرفعانها وقت رفعهما وقيل اسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف
وهو العامل في اذ والجملة فيكون ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل
النصب على الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا
والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن اضافة ما فيه صلاح المربوبية مع الاضافة الى
ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا
وتقبل دعائي ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء
كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها
دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء
التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا الدعاء عليما بنيتنا مصحح للتقبل في الجملة بل من
حيث انه علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع بموجب تفضله
وتوكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما عصمتهما وقصر معنى السمع والعلم عليه تعالى
لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان اول ما
جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامر وما يتعلق به ثم
رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب
الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور

الواقعة من جهة ابراهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام من الافعال والاقوال في سلك
اخروا اما قوله تعالى ومن كفر فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء
المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه
السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين او مستسلمين
من اسلم اذا استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كان عليه من الاخلاص
والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخالها جر معهما في الدعاء اولان التثنية من
مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء
لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان
منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز
وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقاء لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة
المسلمة امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد جوز ان تكون من مبينة قدمت على المبين وفصل
بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا
وارنا من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف اي بصرنا وعرفنا مناسكنا اي متعبداتنا
في الحج ومذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد
عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة
الساقطة دليل عليها وقرئ بالاخلاص وتب علينا استتابة لذريتهما وحكاية عنهما
لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما
لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء
للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته
ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا
يستلزم البعث ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو الذي اجيب
دعوتهما عليهما السلام روي انه قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عليه السلام انا
دعوة ابراهيم وبشرى ورؤيا امي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما انه الاصل
في الدعاء واسمعيل تبع له عليه السلام يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه
من البينات ويزكيهم بحسب قوتهم النظرية ويعلمهم اي القرآن الكتاب وما تكمل به
نفوسهم من الاحكام الشرعية والمعارف الخفية والحكمة بحسب قوتهم العملية
اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب

على ما يريد

على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة
المسئول فان الحكمة مقتضى لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث
الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة
ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح
والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء الا من سفه نفسه اي اذلها واستمهنها
واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق نفسها واهلك او جهل نفسه قال المبرد
وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه
الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع
نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ونحو قوله • وتاخذ بعده بذناب عيش
اجب الظهر ليس له سنام • وقوله ومالومى بثعلبة بن سعد • بفرازة الشعر الرقابا •
وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه وازالتها
حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعى ابني اخيه سلمة ومهاجر الى
الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا
اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى
مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر
الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب
قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه
وقوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة و
الخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرر و
لا حاجة الى جعله اعتراضا او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا
مشهودا له بالصلاح في الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل وايراد الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي
اهل الاخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الاخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور
الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهد اثارها
وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة
عليها على ان قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله • ربيته حتى اذا تمعددا • كان
جزائي بالعصا ان اجلدا • او بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين او من غير

لفظاً اي اعني في الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظه اي اعني في الآخرة كقولك لك بعد
رعياً وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديماً وتأخيراً تقديره ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان
ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح
الآخرة او تعليل له او منصوب بالذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى
الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر
به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب
العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد
المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن
واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص واستقم وفوض امرك الى الله
تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار
مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال
قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده
كما هو المأمور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان
كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه
خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله
كان الموصي يصل فعله بفعل الموصى والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة
كما عبر بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في
عقبه وقرئ واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضاً بنيه وقرئ بالـ
نصب عطفاً على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين
لانه في معنى القول كما في قوله • رجلان من ضبة اخبرانا • انا راينا رجلا عريانا • فهو عند الاولين
بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو
ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين و
كان بنو يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويسسوخور وزبولون
ودوانا ونفتونا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا
وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى

حين

حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابداً كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية
الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الست
تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام
منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام
وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور
اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعدما
بين اجمالاً ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام
باليهودية حسبما يحكى عنهم واما تعميم الافتراء هنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه
تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام تقولون ان ابراهيم
الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم اذ قال لبنيه بدل من
اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي
اي اي شيء تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه ما تدعون رجماً بالغيب وعند هذا
تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام
اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم
وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسأل به كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء
من اذا سئل عن شيء بعينه واذا سئل عن صفة قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى قالوا استئناف
وقع جواباً عن حكاية سؤال يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقالوا نعبد
الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراد ابيهم عليه السلام بالسؤال اي
نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليباً للاب
والجد لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في العباس هذا بقية
آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله • فلما تبين اصواتنا • بكين وفديننا بالابينا •
وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك
الهاً واحداً بدل من اله ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدة التصريح بالتوحيد ودفع
التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من
فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معاً ويحتمل ان يكون اعتراضاً محققاً لمضمون ما سبق تلك امة
مبتدأ وخبره والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق

الناس اى يقصدون بها قد خلت صفة للخبر اى مضت بالموت وانفردت عن عداها واصله صارت
الى الخلاء وهى الارض التى لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى
لامة او حال من الضمير فى خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اى لها ما كسبته
من الاعمال الصالحة لا يتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو
المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتدأة على الوجهين الاخيرين اذ
لا رابط فيها ولا بد فى الصفة ولا مقارنة فى الزمان ولا بد منها فى الحال اى لكم ما كسبتموه لا ما كسبه
غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل فى قوله تعالى لكم دينكم ولى
دين اى ولى دين لا دينكم وحمل الجملة على هذا القصر على ان معنى ولئلا لا ينفعهم الا ما كسبوا كما
قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه
وانما الذى يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فتبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا
يتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانهم ينفعهم اتباعهم
لهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى هاشم لا يأتينى الناس باعمالهم وتأتونى بانسابكم ولا تسألون
عما كانوا يعملون اى اجرى السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقرير الظاهر
وان اريد به مسببه اعنى الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له واياما كان فالمراد تخييب
المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عنهم عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات
الحكم بالطريق البرهانى فى ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول
عن السيئات فقيل لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتكم ولا ريب فى انه مما لا يليق
بشأن التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى
يتصدى لبيان انتفاعه وقالوا شروع فى بيان فن اخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم
اثر بيان ضلالهم فى انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات الموجب باستقباح حالهم لابعادهم من
مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اى قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى
ليس هذا القول مقولا لكلهم او لاى طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه
حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اى قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى نظير
بالنظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام
تهتدوا جواب للامر اى ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى قل لهم على سبيل
الرد عليهم وبيان ما هو الرشد لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اى لا نكون كما يقولون بل
يكون اهل ملته عليه السلام وقيل بل نتبع ملة عليه السلام وقد جوزان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه

السلام

السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اى بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته اى اهل ملته حنيفا
اى مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما رأيت فى وجه هند قائمة وفى قوله تعالى ونزعنا ما فى
صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم
بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعاء
على الاجمال وارشاد لهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اى قولوا لهم بمقابلة ما قالوا
تحقيقا وارشادا ضمنيا اليه امنا بالله وما انزل الينا يعنى القرآن قدم على سائر الكتب لانه مع تأخره
عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم حيث كانوا متعبدين
بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط
وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة
ابراهيم عليه السلام واسحق وما اوتى موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة
بايديهما حسبما فصل فى التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر
لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتى النبيون اى من جملة المذكورين وغيرهم من ربهم
من الايات البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى امنوا
ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق
بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع
لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين
عليه كما فى مثل المال بين الناس ومنه ما فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود
الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه فى حيز
النفى وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وبين
غيره كما فى قول النابغة • فما كان بين الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلائل • اى بين وبينى
وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين ما عداه كائنا من كان
ما ليس فى ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير فى امنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون
اى مخلصون ومذعنون حال اخرى او عطف على امنا فان امنوا الفاء للترتيب ما بعدها على
ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما انه •
مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما امنتم به اى بما امنتم به على الوجه الذى فصل على ان
المثل مقحم كما فى قوله تعالى فشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه ويعضده قراءة ابن

مسعود رضى الله تعالى عنه بما امنتم وقراءة ابى رضى الله تعالى عنه بالذى امنتم به ويجوز ان يكون الباء
للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بعروده انفا او على ان الفعل يجرى مجرى اللازم اى
فان امنوا بمثل ما امر مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان تكون الاولى زائدة
والثانية صلة لامنتم وما مصدرية اى فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان يكونا
للملابسة اى فان امنوا ملتبسين بمثل ما امنتم به ملتبسين به او فان امنوا ايمانا ملتبسا
بمثل ما امنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام
فان ما وجد منهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل للمؤمنين لاعتد
بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم
وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا المعنى بطريق يهدى الى الحق مثل
طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطريق فيأباه ان المقام تعيين طريق
الحق وارشادهم اليه بعينه لا تجويز ان يكون له طريق اخر وراءه وان تولوا اى اعرضوا عن الايمان
على الوجه المذكور بان اخلوا بشىء من ذلك كان امنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم و
ديدنهم فانما هم فى شقاق المشاقة والشقاق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداوة
من العداوة اى الجانب فان احد المخالفين يعرض صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ فى شق
غير شقه وعدوه غير عدوته والتنوين للتفخيم اى هم مستقرون فى خلاف عظيم بعيد من
الحق وهذا الدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما امن به المؤمنون والجملة
الاسمية الدالة على ثباتهم واستقرارهم فى ذلك واما ثباتهم بل فاعلموا انما هم فى شقاق هذا هو
الذى يستدعيه فخامة شان التنزيل وقد قيل قوله تعالى فان امنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت
على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مماثلا له فى الصحة
والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب فى انه مما لا يليق بجلالة النظم
الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدى الى الجدال والقتال لا
محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر و
الغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله
اى سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده
الكريم بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وتكوين الخطاب بتجريده للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة فى ذلك وللايذان بان
القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد فى مناهضة الاعداء من

وظائف

وظائف الرسالة فنعمته تعالى فى الكفاية والنصر فى حقه عليه السلام اتم واكمل وهو السميع
العليم تذييل لما سبق من الوعد وتوكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعونه ويعلم ما فى نيتك
من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اى يسمع ما ينطقون به ويعلم
ما يضمرونه فى قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فان
وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهى الحالة التى يقع
عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذى فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوصاف
الكفرة وحلية تزينهم باثاره الجميلة ومتداخلا فى قلوبهم كما ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب
كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه
المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم واضافتها الى الله تعالى مع اسناده
فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد
بتحصيلها فهى اذا مصدر مؤكد لقوله تعالى امنا داخل معه فى حيز قولوا منتصب عنه
انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كانه قيل اصبغنا الله صبغة وقيل هى منصوبة
بفعل الاغراء اى الزموا صبغة الله وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدها اعتناء ببيان انه
الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى تسليته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن احسن من الله
مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفى وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من احسن منقول
من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى والتفضيل جار بين الصبغتين اى
لا بين فاعليهما اى لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه
فى قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن للحسن الحقيقى
والفرضى المبنى على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون فى صبغة غيره تعالى حسن فى الجملة والجملة
اعتراضية مقررة لما فى صبغة الله من التبجح والابتهاج ونحن له اى لله الذى اولانا تلك النعمة
الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو
عطف على امنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل
الاغراء بتقدير القول اى الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن
من الله صبغة حينئذ يجرى مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المأمور به من الوظائف
الخاصة به صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اى اتجادلوننا
فى الله فى دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء

عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى
تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اى اتجادلوننا والحال انه لا وجه
للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اى مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة لامر ولكم اعمالكم
السيئة المخالفة لحكمه ونحن له تعالى مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها وجهه فانى لكم المحاجة
وادعاء حقيقة ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة انبيائه اليه وكلمة ام في قوله
ام تقولون اما عادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخل في حيز الامر على معنى اى الامرين تأتون
اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقيقة ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد و
الافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا
هودا او نصارى فنحن به مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة
مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الا
فتراء على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة
لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام
على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه نبيا
من العرب دونكم لما روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت
ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم
يصيب برحمته من يشاء من عباده ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم لا انه الزمهم على كل مذهب
يتحمونه اتحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضلا من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء
واما افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم
اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا ونحن له مخلصون اى لا انتم فمع عدم ملائمته
لسياق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه
لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في
الصلاح والسوء ايدود على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار
تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل انتم اعلم
ام الله اعادة الامر ليس لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما
بعده ليس متصلا بما قبله بل هو كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب
عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما نحوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم
السلام كما في قوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون

وقوله عز قائلا قال ااسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت على فان تكريره قال في الموضعين
وتوسيطه بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني با
لتبعية والاستتباع كما حرر في محله اى كذبهم في ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون
وقد نفى عن ابراهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم
السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما تصفون ومن
اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهي شهادته
تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي انفا فعنده صفة
لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار وتأكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من
جناب الله تعالى من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع
تأخره في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب
حيث كتموا الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للا
الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمنا
فالمراد بكتمانها عدم اضافتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما
اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم
شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون
من فنون السيئات فدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام
دخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ
عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى
ومن اظلم الى اخر الاية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في
الزجر عما هم عليه من الافتخار بالاباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهو لنا
تحذيرا عن الاقتداء بهم المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود
سيقول السفهاء اى الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض
عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات
الكذاب المتعمد على خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي
ابن عباس ومجاهد قالوا انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته

عليه السلام في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عزوجل الا انهم هم السفهاء
وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية
اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل طعنا في
الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليه وليرجعن الى دينهم ايضا
وقيل هم الجاحدون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اي الكفرة لبيان
ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن اشقيائهم
المعاندين للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم
لما كان لبيان كونهم من الناس فائدة وتخصيص سفاهتهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين
للتحويل وارتضائهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولاهم
اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة
كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي تقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي
يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبر اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها
الانسان في الصلوة والمراد بها ههنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها
بقوله تعالى التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد
حقيقتها لما ينافي الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم
للتحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركين فمداره مجرد القصد الى الطعن
في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير
داع لانكارهم الانصراف عنها والتوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما
يوجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القويم ابعد عن العقول
وانكار سببه ادخل للايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عن
خصوصية بيت المقدس التي الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية
قبلة اخرى او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن
والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف والمنافقون
من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث
وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجأة المكروه على النفس اشق
واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ارد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فما اقول عند ذلك فقيل قل لله المشرق الخ اي

نا

٩٤

ناحيتا الارض اي الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها
بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء اي يهديه
بمشيئته التابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين
وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما
تقتضيه مشيئته المقارنة للحكم الابية والمصالح الخفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب
الى المؤمنين بين الخطاب المختصين بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لتأكيد ما في مضمون الكلام
من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل اخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد
الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين
المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في
الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما
افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف و
اصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة
القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك
الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا اخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي
نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف
يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس
الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت ۞ بها الحوادث حتى اصبحت طرفا ۞ فان تلك العلاقة بمعزل
من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل
المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط
كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي
طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع الاوساط
المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوي فيه بين المفرد والجمع
والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة
رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه بما
لصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى
الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم
هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة

كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزايغة اى متصفة با
لخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله تعالى قد
اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مذكر وهو غاية للجعل المذكور
مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هى الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التى
هى فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا
كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة فى الكتاب المبين المنطوى على احكام الدين و
احكام الامم اجمعين حاويا لشرائط الشهادة عليهم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ
الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم
من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك با
لنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز وعلا
ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما فى الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن
وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول والاخيار
وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم وما جعلنا القبلة التى كنت
عليها تجريد للخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم رمز الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة
بان يخص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل و
قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثانى
كما فى قولك جعلت الطين خزفا فينبغى ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثانى هو القبلة
فكلام صناعى ينساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدى الى العكس
فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود
هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها اولا ثم
لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او هى الصخرة لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنه من ان قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس الا انه يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه
الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الا الكعبة واما الصخرة فيتأتى ارادتها على الروايتين
فالمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها اى تردى اليها وهى الكعبة وعلى الثانى
وما جعلناها اى التى كنت عليها قبل هذا الوقت وهى الصخرة الا لنعلم استثناء مفرغ من
اعم العلل اى وما جعلنا ذلك الشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اى نعاملهم معاملة من يمتحنهم

ونعلم

ونعلم من يتبع الرسول فى التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع
ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه
يرتد عن دين الاسلام اولا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الان من يتبع الرسول
ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم
الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه
فلك الجزاء من العلم الحالى اى ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم والمؤمنين واسناده اليه سبحانه وتعالى لما انهم خواصه او لتمييز الثابت عن المتزلزل
كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذى هو مسبب عنه ويشهد له
قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما فى من من معنى
الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على
عقبيه وان كانت لكبيرة اى شاقة ثقيلة وان هى المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ المبتدأ
والخبر واللام هى الفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم ا
لكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اى ما كانت الا كبيرة والضمير الذى هو اسم كان راجع
الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة
او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما فى قوله • واخوان لنا كانوا كرام • واصله وان
هى لكبيرة كقولك ان زيدا لمنطلق الا على الذين هدى الله اى الى سر الاحكام الشرعية المبنية
على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الاسلام و
اتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ما صح وما استقام له ان يضيع
ثباتكم على الايمان بل هو يشكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم
اليها لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا
وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدم لكان كما هو رأى
البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اى ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع
فى توجيه النفى الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس فى توجيهه الى نفسه واما مزيدة لتأكيد نفيه
الفعل بنفسه كما هو رأى الكوفية ولا يقدح فى ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر فى عملها وقوله
ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضى
لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم
مع كونه ابلغ منه لما مر فى وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرأفة فى الكمية والرأفة

والرأفة أقوى منها في الكيفية لأنها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة ايصال
النعمة مطلقا وقد تكون مع الألم كقطع العضو المتآكل وقرئ رؤف بغير مد كندس قد نرى تقلب
وجهك في السماء تردده وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك أن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل أن يحوله الى الكعبة لأنها قبلة ابراهيم
وأدعى للعرب الى الايمان لأنها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل
عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي
في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اى فوالله لنولينك اى لنعطينكها ولنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اى صيرته واليا او لنجعلنك على أن نصب قوله بحذف الجار
اى الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتتشاق اليها لمقاصد دينية وافقت
مشيئته تعالى وحكمته فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية
بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اى فاصرفه شطر المسجد الحرام اى
نحوه وهو نصب على الظرفية من ول او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر في
الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه
وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتصرفوه
وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذانا بكفاية مراعاة الجهة لأن مراعاة العين من البعيد
حرج عظيم بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب
بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مسجد بني
سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب و
حول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما
كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالخطاب تعظيما له
وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تأكيدا
للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة و
حيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على
الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين أوتوا الكتاب
فريقي اليهود والنصارى ليعلمون انه اى التحويل او التوجه المفهوم من التولية
الحق لا غير لعلمهم بأن عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة

ومعاندتهم

ومعاندتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي الى القبلتين كما ينبئ
بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وأن مع اسمها وخبرها ساد مسد
مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم
متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اى كائنا من ربهم او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول
مع صلته اى الكائن من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل
تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لأهل الكتاب ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب وضع الموصول
موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يزعمهم عنه من الكتاب الناطق
بحقيته ما كابروا في قبوله بكل آية على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك
جواب للقسم المضمر ساد مسد الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة
وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد تعميمه لما
ان المحاجة والاتيان بالآية من الوظائف الخاصة به صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى وما أنت بتابع
قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوق لقطع اطماعهم الفارغة حيث
قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له صلى الله تعالى
عليه وسلم وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم
مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد و
نفي تتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى
مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن
اتبعت اهواءهم الزائغة المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه
الشرطية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك
اذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس بشأنه ذلك
اذا نهي عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس
كذلك واذا حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ
حدها ان يتقدم او يتأخر فلم يتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجزائه
المحذوف لأن المذكور جواب القسم ولم يتأخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التأكيد من سبعة
وجوه تعظيما للحق المعلوم وتعريضا على اقتضائه وتحذيرا من متابعة الهوى واستعظاما
لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب اى علماؤهم اذ هم العمدة في
اثباته ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم

والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والالتفات الى الغيبة
للايذان بان المراد ليس معرفتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من
حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه صلى الله تعالى عليه وسلم
من حيث ذاته يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا
يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه صلى الله تعالى عليه
وسلم وانه علم معلوم بغير اعلام فتامل وقيل الضمير للعلم او سببه الذي هو الوحي او القرآن
او التحويل وتأييد الاول قوله تعالى كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة
المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات
لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضي الله تعالى عنه انه سأل عبد
الله بن سلام رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني
قال لم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه رضي
الله تعالى عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا والفريق
الباقون هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست
لهم معرفة بالكتاب ولا في نقضا عيضه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم واما كفرهم
على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدأ وقوله من ربك خبر واللام للعهد والاشارة الى
ما عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما
ثبت انه من الله تعالى كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق وقوله
تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول
ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار
اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين
وقيل انه من ربك وليس المراد به نهي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشك فيه بل
وامر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اي ولكل امة من الامم
على ان التنوين عوض من المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين
جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه او
الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها
واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ هو مولاها اي مولى تلك الجهة فاستبقوا
الخيرات اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله ثنائي عليكم الى حرب ومن يمل سواكم

فان مهند

فان مهند غير مائل • وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق و
المراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلة
من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق
او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق
الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة يجمعكم ويجعل صلواتكم الى جهة
واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم
السابق ومن حيث خرجت تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر
ومن متعلقة بقوله تعالى فول او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه للسفر
فول وجهك عند صلواتك شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه
فول الخ وانه اي هذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون
فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد
للكافرين ومن حيث خرجت اليه في اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول
وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر آنفا وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين
او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين
في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن
المختلفة من حيث اقامتكم فيها فولوا وجوهكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها
شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يكون مرة عقب اخرى مع
انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلقة بقوله تعالى فولوا او
بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع
احتجاج اليهود فان المنعوت بالتوراة من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين
بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد
من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه و
حبا للبلد او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينكم وتسمية هذه الكلمة
الشنعاء حجة مع انها لا تخش الا اباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا
يسوقونها مساق الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كما
في قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • وقرئ الا الذين
بحرف التنبيه على انه استئناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضرهم شيئا واخشوني

ولاتخالفوا امرى ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اى
وامرتكم بما امرتكم لاتمامى النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي اهتداكم لما انه صراط
مستقيم موصل الى سعادة الدارين كما اشير اليه فى قوله تعالى يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم وفى التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة التمثيل من
الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اى واخشوني لاحفظكم
عنهم ولاتم الخ او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما
للمسارعة الى التسلية والتثبيت وفى الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضي الله تعالى
عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف
الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما فى صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق
بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اى ولاتم نعمتي عليكم فى امر القبلة او فى الاخرة
اتماما كائنا كاتمامى لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لاسيما المجانس لهم
نعمة لا يكافيها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى الخ وايراد
صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء
يتلوا عليكم اياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو
اى يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مرتبة فى الوجود على
التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هى عبارة عن تكميل بحسب القوة العملية وتهذيب
المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان
بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب
الوجود كما فى قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب و
الحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره
فى قصة البقرة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة
رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف
الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح
فى ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما
وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم فى مقام يقتضيه كما فى قوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ عقيب قوله نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه
ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق فى

فالوحي

فى الوحي فاذكروني الفاء لدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اى فاذكروني بالطاعة
اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم
من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امرتكم به يا ايها الذين امنوا وصفهم بالايمان
اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا
فى كل ما تأتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة
الكفرة ومقابلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلوة التي هى ام العبادات ومعراج المؤمنين
ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة
لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ
عنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعلت قرة عيني فى الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة
بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة
ودخول مع الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية
ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان ان لا غاية للمأمور به وان الشهادة
التي ربما تؤدى اليها الصبر حياة ابدية لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء
اى بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر
الظاهرة من الحياة الجسمانية وانما هى امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضي
الله تعالى عنه ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح
والفرح كما تعرض النار على ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت
فى المنام سنة تسع وثلاثين وتسعمائة انى ازور شهداء احد رضي الله تعالى عنهم وانا اتلو
هذه وما فى سورة ال عمران واردد هما متفكرا فى امرهم وفى نفسي ان حياتهم روحانية لا
جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رأيت شابا منهم قاعدا فى قبره تام الجسم كامل الخلقة فى
احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي
فى القبر خيل الى اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه
فرايته ينظر الى متبسما كانه ينبهني عن ان الامر بخلاف رايي فسبحان من علت كلمته وجلت
حكمته وقيل الاية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح
جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الايات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على ما

مبادی الشهادة لاختصاصهم بمزید القرب من الله تعالى ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء له عاقبة حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل ما يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما بقي عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة فنون الرأفة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا والا لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام

خاصة لما انه متقدم عليهما فلا بد لتأخيره عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رأفة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريدهما عن التعلق به فلا جناح عليه ان يطوف بهما اى في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء بالطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذانا بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعند مالك والشافعي رحمهما الله ركن والتعبير بعدم الجناح المشعر بالتخيير لانه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اى فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف اى تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين فعل وقرئ تطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع بخير فان الله شاكر عليم اى مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع جازاه الله تعالى واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التورية من نعوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم في الكل والاقرب هو الاول فان عمومه لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات من الآيات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والهدى اى والآيات

الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة
للاصل وهي المراد بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس
وبينات لكن المراد بالهدى الدالة العقلية وباياته الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق
بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى
في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير
متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث
يتلقاه كل احد منهم من ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه
وهدى مؤكد بقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله
تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه السلام وكتبوا
مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب الخ اولئك اشارة
اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان
بترامي امرهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات
الى الغيبة باظهارهم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان
مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة المغاير لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف الجمال
والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة
ومؤمني الثقلين والمراد دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى
الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا
مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معاينة فانه غير الاصلاح المذكور او
بينوا لهم ما وقع منهم اولا واخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق
الضلال الذي كانوا اوقعوهم او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم
اضرابهم وحيث كانت هذه المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة على الكفر
مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما
في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء للتأكيد ذلك اتوب عليهم اي بالقبول واضافة
المغفرة والرحمة وقوله تعالى وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض
تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من
التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعلية السابق واللاحق ان الذين كفروا
جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه

على غير

على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم
التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه فكما ان وجود تلك الامور الثلاثة مستلزم
للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين على
الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك
الكلام فيه كما مر فيما قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ممن يعتد
بلعنهم وهذا بيان لعدمها جميعا لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل
الاول لعنهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله
لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو وتريد من ان ضرب زيد وعمرو وكا
قبل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل الفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة
خالدين فيها اي في اللعنة او في النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها
لا يخفف عنهم العذاب اما استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته
من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة
الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام
النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم
خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة
لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدأ او اعتراض واياما كان فهو مقرر
للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن
الرحيم خبران اخران للمبتدأ او لمبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى
حيث كان مولى لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا
ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت وحدانيته بلا
ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة
المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا
فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما
على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول
البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون
الارض واختلاف الليل والنهار اي اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للاخر كقوله تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة واختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا و

انتقاضا على قدرة الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف ما قبله وتأنيثه اما بتأويل السفينة
او بانه جمع فان ضمة الجمع متغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في
قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع
المنافع او لنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتأخيرها عن ذكرها
مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل الحق الاستدلال بالبحر واحواله
تخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجايبه ولذلك قدم على ذكر
المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية
او تبعيضية واياما كان فتأخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب
او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد
موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت في
مقابلة الاحياء وبث فيها من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة
على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا به الخ او على احيا بحذف الجار متصل
بمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها
الخ او على احيا بحذف الجار والمجرور والعائد الى الموصول وان لم يتحقق الشرط اعني
المعهودة كما في قوله وان لساني شهدة يشتفى بها ● وكن على ما صبه الله علقم ● اي علقم
وقوله ● لعل الذي اصعدتني ان يردني ● الى الارض ان لم يقدر الخير قادره ● على معنى
فاحيي بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا
وتصريف الرياح عطف على ما انزل اي تقليبها من مهب الى اخر او من حال الى اخرى و
قرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة
سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه
وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو
بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير
السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في
البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها اية ولو روعي الترتيب
الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض اية واحدة لايات اسم ان
دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي ايات عظيمة كثيرة دالة
على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به

سبحانه

سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض
بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اية تصدقه في قوله تعالى
والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تأمل في تلك الايات وجد كلا
منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى
واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من
الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لاثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضي
ذاته وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لابد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده
حسبما تقتضيه حكمته ويستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه
اله يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم
ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة اراء المشركين اثر تقرير وحدانيته
سبحانه وتحريره الايات الباهرة الملجئة الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه شيء
من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام
في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر ومن دون
الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون الله ذلك الاله الواحد الذي ذكرت
شئونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات انداد
امثالا اي رؤساءهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي
كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبرء من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير
العقلاء اليها في قوله عز وجل يحبونهم مبني على ارائهم الباطلة في شأنها من وصفهم
بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق
منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منها احب على حد لكن الاستعمال المستفيض
على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد
لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى
يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة لانداد او حالا من فاعل
يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي
اي نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن تضمنه كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك
والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم كانوا يقرون به تعالى ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا
كحبهم الله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكورهم

المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل
الحب لا في وصفه كما وكيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول
اى كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير بانه
لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبته تعالى فالمصير الى ما سلفناه في تفسير قوله تعالى
كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف
وابانة قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من
بيان رجاء وحبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اى المؤمنون له اشد حبا
له تعالى منهم لاندادهم وما له ان حب اولئك له تعالى اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه من الدلالة على
كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المو
بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور في حبهم لاندادهم لكونه منوطا
باغراض فاسدة ومواد موهومة يزول بزوالها ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد
الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما اياما فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة
الهها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها
في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال
كما سيأتي بل اعتباره مخل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم
ما اقترفوه وايثار الاظهار في موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى
الذين ظلموا اى باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب المعد لهم يوم
القيامة اى لو علموا اذ يعاينون وانما اوثر صيغة المستقبل اجراء لها مجرى الماضي في الدلالة على
التحقق كما في اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وان الله
شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص
القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف
للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه
واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر او المستمع من الضجر والتفجع عليه اى لو علموا
اذ رأوا العذاب فدخل بهم ولم ينفعهم شيء من اندادهم ان القوة لله جميعا لا
دخل لاحد في شيء اصلا لوقعوا من الحسرة والندامة فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى
بالتاء الفوقانية على ان الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل واحد ممن يصلح
للخطاب فالجواب لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء

للمفعول

للمفعول وان الله شديد العقاب على الاستئناف واضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من
يرون اى تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه
في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن
كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء
والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير
في رأوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل التي كانت بينهم من التبعية و
المتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي
يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري
وقد جوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرؤ الرؤساء
منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم في الدنيا لو ان لنا كرة هناك فنتبرأ منهم اليوم
كما تبرؤوا منا كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء آخر مفهوم مما سبق
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه
عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اى ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم اى ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم
القلب وانحساره عما يؤمله واشتقاقها من قولهم بعير حسير اى منقطع القوة و
هي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فهي حال فالمعنى ان اعمالهم تنقلب
حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام
مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية
لافادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله هم
يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذ الغاليا يا ايها الناس كلوا مما في الارض
بعض ما فيها من اصناف المأكولات التي من جملتها ما حرموه افتراء على الله من الحرث
والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة
وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل
والحام وقوله تعالى حلالا حال من الموصول اى كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا
على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اى اكلا حلالا ويؤيد الاول
قوله تعالى طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين

حرموا على انفسهم من رفيع الاطعمة والملابس وتهديده قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات
الشيطان اى لا تقتدوا به في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم
الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا
وافتراء على الله تعالى وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع
خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو و
بفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اى
ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي
وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء استئناف لبيان
كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وفساده وانحصار معاملته معهم في ذلك
والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي
سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها
والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون على الفحشاء
اى وبان تفتروا على الله بانه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله امر
به وتعليق امرهم بتقولهم على الله تعالى ما لا تعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما لا تعلمون
عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه
في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللايذان بان
العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن
ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه تعالى قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا
واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن
في طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم
وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه
الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم لهم على نهج المثابة اى اذا قيل لهم على وجه
النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما
ألفينا عليه آباءنا اى وجدناهم عليه اما على الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من
آباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين
امروا باتباع القرآن وسائر ما انزله الله من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد

والموصول

والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما
باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا
خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام
وقوله عز وعلا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق
من جهته تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان آرائهم والهمزة للانكار الواقع
واستقباحه والتعجب منه لا لانكار الوقوع كما في قوله تعالى اولو كنا كارهين
وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه
فلا يلاحظ لها جواب قد حذف بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده
الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض
من الاحوال المقارنة له بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او
انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي
القوي يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى
عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال
المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا
المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك احسن اليه ولو
اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ
من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة ه
متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان يقصد بيان تحققه على كل حال هو
نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو باق على
ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل
مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلول المذكور من
حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما لا يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به و
ان المنفي الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما مقارنته لغيرها
لتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار
بانه امر محقق لا انه فرض محض الا استبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم
ليتسنى لهم من التصريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد التقرير

متن الفساد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لاباءهم ان كان منكرا مستقبحا
عند احتمال كون اباءهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى
والتقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن اباءهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون
للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من اباءهم على طريقة
قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون دين اباءهم حال كونهم
غافلين وجاهلين ضالين انكارا لما افاده كلاهما من الاتباع على اي حالة كانت من
الحالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر
وتعويلا على اقتضائها الحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي تعلق
الانكار حين تحقق مع كون اباءهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم غافلين
ومهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة
النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي لا الى اثبات
الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة
كون اباءهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه
ايتبعون الخ فلم اختلف الحالتين بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم
الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثل النفي عدم الاعطاء المستفاد
من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع من الفعل المقدر
هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع اه واما الاستفهام
فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه
من تمامه كما هو في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع
ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا
كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في سائر
اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق
التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع الموصول موضع
الضمير الراجع اليه الضمائر السابقة لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار
بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقة لغرابة عند
بان تسمى مثلا وتسير في الافاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق و
رفعهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلال

اعلم

وعدم فهمهم من جهة الداعي الى الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم ما يلقى عليهم كمثل
الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها تسمع الاصوات من الراعي
وهتفه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف الى الموصول لتاكد دلالة
كلمة ما عليه فانها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين
كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الايات كمثل بهائم
الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم
في اتباع اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا
تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه على البهائم و
هذا غني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من
ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما افراد الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم
اي هم صم الخ فهم لا يعقلون شيئا لان طريق التعلم هو التدبر في مبادي الامور
المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع ايات الله ومشاهدة حججه
الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد
عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم
اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق و
يشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة
والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف واستثناء الشرع وخروج الطحال
من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه
معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله اي
رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما
جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي اهلالا ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق و
الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي
بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله فلا اثم عليه في تناوله
ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما

ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او
قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا
اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون من الاحكام التي من جملتها
احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا وقال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود
حين كتموا نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويشترون به اي يأخذون بدله ثمنا
قليلا عوضا حقيرا وفيه من التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في
عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في
حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين
اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان
بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ما يأكلون
في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدأ ثان او بدل من الاول والخبر
ما يأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها
فكانه عين النار واكله اكلها كقوله ٭ اكلت دما ان لم ارعك بضرة ٭ بعيدة
مهوى القرط طيبة النشر ٭ او يأكلون في المآل يوم القيامة عين النار عقوبة
على اكلهم الرشا في الدنيا وفي بطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تاكيد الاكل وتقريره
ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه ومنه كلوا
في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف
وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء والا فتعليقه بيأكلون
يؤدي الى قصر ما يأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه الى الشبع على
النار مطلقا ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم
ما يمنح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع
ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظيره بالاعتبار المذكور
خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم اذ لا دخل لها في حكم الراي المراد اثباته ها هنا
فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر عنها الطباع و
لا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه و
ابداء فظاعة تبعاته وهو مبتدأ خبره الموصول اي اولئك المشترون بكتاب الله
عز وجل ثمنا قليلا ليس بمشترين للحق وان تراءاهم الذين اشتروا بالنسبة

الدنيا

١٠٥

الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما
يبذل عقابا بل ينبذ بشيء وان جل والعذاب اي استروا بانتهائه الى الاخرة العذاب الذي
لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة الذي يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم
على النار تعجب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا
قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة
بالابتداء وتخصيصها كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها
شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها
خبرها اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها
والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك اي العذاب بان الله
نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه با
لتكذيب والكتمان وركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين
اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي بان امنوا ببعض اياته وكفروا ببعض
كالايات العبرية المشتملة على بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونعوته الكريمة بمعنى الاختلاف في التخلف
عن الطريق او الاختلاف في تاويلها او القران بان قال بعضهم سحر وبعضهم شعر كما حكى
عن المفسرين لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب كانوا
اكثر خوضا في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى
قبلته من القطرين المذكورين وتقدم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة النصرانية
اما لرعاية ما بينهما من الترغيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه
اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في
جانب المغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس
مقدما على اسمها كما في قوله ٭ سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم ٭ فليس سواء عالم و
جهول ٭ وقوله ٭ اليس عظيما ان تلم ملمة ٭ وليس علينا في الخطوب معول ٭ وانما اخير
ذلك لما ان المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف به
والاعرف احق بالاسمية لان في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف
النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان
البر هذا فيجب ان يكون موافقا لدعواهم وما ذلك الا ان يكون البر اسما كما يفصح
عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من امن بالله ٭٭

وهو تحقيق الحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل الخصال البر مما لا يختلف باختلاف
الشرائع وما يختلف بالحقيقة فيها ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشانه ويجد
في تحصيله بر من امن بالله وصرح ايمانا برياء من شايبة الاشتراك لا ايمان اليهود والنصارى
المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله **واليوم الاخر** اى على ما هو عليه
لا كما يزعمون من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وان اباهم الانبياء يشفعون لهم
ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر في الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق
الامر بها من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى
كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدا والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة **والملائكة**
وامن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب **والكتاب**
اى بجنس الكتاب الذي من افراده القرآن الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله عنا قليلا **والنبيين** جميعا من تفرقة بين احد منهم
كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين جملة الوحي وبين النبيين واضح وسلك في قوله تعالى
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله **واتى المال على حبه** حال من الضمير في اتى والضمير المجرور للمال اى
اتاه كائنا على حب المال كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حين سئل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان تؤتيه صحيح شحيح تامل العيش وتخشى
الفقر ولا تمهل حتى تبلغ الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اى
كائنا في محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض بالباذلين رياء واخذ بها
لتعبير التوبة وقيل للمصدر اى كائنا على حب الايتاء **ذوى القربى** مفعول اول لاتى قدم
عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي
الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني
واليتامى اى المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوى القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة
وصلة **والمساكين** جمع مسكين وهو الذي اسكنته الخلة اى اسكنته بحيث لا حراك به
او دائم السكون الى الناس **وابن السبيل** اى المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي القاطع ابن
الطريق وقيل الضيف **والسائلين** الذين الجاتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال صلى الله تعالى
عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء على ظهر فرس **وفي الرقاب** اى وضعه في فك الرقاب بمعاونة
المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وايا ما
كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح المالكية كالذين من قبلهم لما للايذان بعدم قرار ملكهم

فيما

فيما او تولهما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته واستحكامه في الوجه الاخير واما ما للاشعار بسوخهم
في الاستحقاق والحاجة لما ان في الظرفية المنبية عن محليتهم لتوجه **واقام الصلوة** اى المفروضة
منها **واتى الزكوة** اى المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدمه على الفريضة
مبالغة في الحث عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء
والموفون بعهدهم عطف على من امن فانه في قوة ان يقال ومن وفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل
للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما
بين الناس وقوله تعالى **اذا عاهدوا** للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين **والصابرين** نصب على
الاختصاص غير معطوف على ما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما
قبله قال ابو على اذا ذكرت صفات المدح والذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان
ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه
كما في صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين **في البأساء** اى في الفقر والشدة **والضراء**
اى المرض والزمانة **وحين البأس** اى وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه
احيانا وسرعة انقضائه **اولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة
وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم **الذين صدقوا** اى في الدين
واتباع الحق وتحري البر حيث لم يغيرهم الاحوال ولا تزلزلهم الاهوال **واولئك هم المتقون** من الكفر وسائر
الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم
والاية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها و
تشعب شجونها منحصرة في خلال ثلاث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب
النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل وبالثانية بايتاء المال وفي الثالثة باقام الصلوة الخ
ولذلك وصف الحائزين لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا لمعاشرتهم
مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه اشير قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من عمل بهذه الاية فقد
استكمل الايمان **يا ايها الذين امنوا** شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي
لما فرط من المخالفين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التي عليها بني اساس المعاش والمعاد **كتب
عليكم** اى فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب
انما اعتبر بالنسبة الى الحكام والقاتلين **القصاص في القتلى** اى بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها **الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى** كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا



١٠٧

١٠٥ ق

لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت
فامرهم ان يتساووا وليس فيها ما يدل على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي ايضا لان اعتبار المفهوم حيث
لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رايت الوجه ههنا وانما يتمسك
في ذلك هو ومالك رحمهما الله تعالى بما روي عن علي رضي الله تعالى عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونفاه ولم يقده وبما روي عنه رضي الله تعالى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل
مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين
اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس با
لنفس فان شريعة من قبلنا اذا قص علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انه
شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وفي
كتب عليهما اللقاء او نصب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم
وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة
اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول وهو
ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال • ديار عفاها جور
كل معاند • وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال • ليكون المعنى فمن محي له من اخيه شيء صرف
للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما او
في استعمال الناس فانهم لا يستعملون في باب الجنايات الا فيما ذكر من فعل او على يعدى بعن الى
الجاني والمذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت
لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بعنوان الاخوة
الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم عليه السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع با
لمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف
من غير تعسف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان
من غير مماطلة وبخس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل و
النفع وقيل كتب على اليهود القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم
وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا
الحكم او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية فله باعتدائه عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص
بما قتله بغير حق واما في الاخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على
وجه بديع لا يبارى غايته حيث جعل الشيء محل الضد وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل

على